الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
The People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
المركز الجامعي صالحي أحمد - النعامة
University Center - Salhi Ahmed - Naama
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مطبوعة دروس موجهة لطلبة:

السنة الثالثة ليسانس

تخصص: نقد ودراسات أدبية

موسومة ب:

مناهج النقد السياقي

السنة الجامعية:

2024/2023

Page de Garde

فهرس مادة: مناهج النقد السياقي

1- المحاضرة الأولى: تحديد المفاهيم والمصطلحات
2- الأسس الفلسفية لظهور المناهج النقدية السياقية
3- المحاضرة الثالثة: المنهج التاريخي
4- المحاضرة الرابعة: سانت بيف
5- المحاضرة الخامسة: هيبوليت تين
6- المحاضرة السادسة: فرديناند برونتيار
7- المحاضرة السابعة: غوستاف لانسون
8- المنهج النفسي
9- المنهج الاجتماعي
10- المنهج التأثري
11- المنهج التكاملي

المقدمة

المحاضرة الأولى: تحديد المفاهيم والمصطلحات

النقد الأدبي قرين العملية الإبداعية فحيثما وجد أحدهما وجد الآخر، حيث يعدان وجهة لعملة واحدة، وقد عرف النقد الأدبي تطورا عبر المراحل التاريخية للعصور الأدبية، ففي العصر الجاهلي كان النقد يؤخذ على شكل احكام عفوية ذاتية انطباعية، يعبر:" عن ذوق بسيط تأثري، في جمل مركزة تنزع نحو التعميم المستفيد من خبرات الواقع ومن هنا كثرت الأحكام التي تصف شاعرا لبيت قاله، بأنه أشعر العرب وأن بيته أبرع ما قالته العرب."[1]تعد هذه المرحلة الأولى التي مرّ بها النقد العربي وميزاته التي تميّز بها في هذه المرحلة

أولا: مفهوم النقد

تعددت معاني النقد وتباينت الرؤى ومن الصعب الركون إلى مفهوم واحد، وذلك راجع إلى أن لكل عصر من العصور وجهات نظر خاصة به فيما يخص معنى النقد وتحديد مفهومه.

أ المفهوم اللغوي:

لقد تناولت المعاجم العربية معنى كلمة النقد، فيقال:" نقد الرجل الشيء بنظره ونقد إليه، اختلس النظر نحوه. وإلى هذا النحو صرفوا حديث أبي الدرداء القائل: إن نقدت الناس نقدوك، وإن تركتهم تركوك، معنى نقدتهم: عبتهم واغتبتهم، فيقابلوك بمثله."[2]

ومن معاني لفظة النقد التمييز والتمحيص وإخراج زيف الدراهم والتمييز بين جيدها ورديئها، ومن هنا أنشد سبويه قائلا:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة*** نفي الدنانير تنقاد الصياريف[3]

ومن دلالات لفظة النقد يدل على النقاش يقال:" ناقد فلان فلانا في الأمر، إذا ناقشه فيه، ومن هذا المعنى الأصلي للكلمة جاء معنى النقد في الأدب. ذلك لأن ما يفعله الناقد من

---

[1] صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات، دار نينوى، دمشق، سوريا، ط2015/1، ص 11

[2] نفسه، ص 14

[3] ابن منظور، لسان العرب، في مادة النقد، الجزء الرابع عشر، دار صادر، 2003

محاولة التمييز بين جيد الكلام ورديئه، ليس إلا من جنس ما يفعله الصيرفيّ في نقد الدراهم والدنانير."[4]

يتضح من خلال التعريفات اللغوية للنقد أن جلّها يرتكز على التمحيص والتمييز بين رديئ الشيء وجيده.

ب المفهوم الاصطلاحي:

يعدّ النقد الأدبي من أبرز الظواهر الأدبية التي تسعى إلى الكشف عن الجوانب الفنية والجوانب غير المستحسنة في الإنتاج الأدبي، حيث صاحب النقد العملية الإبداعية الأدبية، ويعتبر النقد:" كتابة أخرى تكتب عن الكتابة الأولى: حيث أنّها تعلق عليها وتناقش أفكارها، وتعالج مدى ما فيها من قبح أو جمال، ورداءة، فأطلق على هذه الكتابة، التي هي في الأصل نتيجة حتمية لضرب من القراءة مصطلح {النقد}."[5]

خلال هذه العملية – عملية النقد- تسبقها عملية القراءة والفحص والتمعن في العمل الأدبي، يأتي حكم الناقد حول العمل الإبداعي الذي كتب، فيقابله الشرح والتعليل والتفسير، وإضاءة لشروط الإنتاج الأدبي، ذلك أنّ لكلّ جنس إبداعي شروطه وأسسه التي يقوم عليها، فكلاهما يشهد تطورا مع تطور الحضارة والأمم، بحيث لكلّ بيئة زمنية تاريخية جغرافية أدبها او طريقة إبداعها الخاص الذي تتميز به، فعلى سبيل المثال الحصر، نجد أنّ القصيدة العربية طرأ عليها تحولات في شكل بنائها ومواضيع نصوصها، فالقصيدة في العصر الجاهلي تميزت مقدمتها بالبكاء والوقوف على الأطلال وتذكر الأحباب، أمّا في العصر العباسي ظهرت المقدمة الخمرية مع أبي نواس، والتي واكبت روح العصر الذي اشتهر بالترف والرفاهية، وفي العصر الحديث والمعاصر ظهرت قصيدة أطلق عليها الشعر الحر وهناك نوع آخر سميّ بقصيدة النثر.

فالنقد الأدبي يسعى إلى فك شفرات النصوص ،وهذا عن طريق آليات وإجراءات تتناسب والراهن الإبداعي الذي كتب، فكلّما:" وجد واقع جديد إلا ونشأ عنه إبداع جديد يحمل خصائص فنية، تستجيب وتعبر عن أفكار وطموحات العصر الذي انبثقت عنه. ولا محالة فإنّ النقد سيعمل على تغيير آلياته، ويطور من مفاهيمه وإجراءاته بما يتناسب

---

[4] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1972، ص 8

[5] **عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد، ص 14 إكمال التهميش**

والراهن الحضاري والإبداعي الذي سيعمل على كشف منجزاته، والبحث في أبعاده وجمالياته، وتقديمه للمتلقي والحكم على منجزاته."[6]

ثانيا: مفهوم المنهج

أ لغة:

يرى صلاح فضل أنّنا نلاحظ في:" البداية أن جميع التعريفات التي تحاول الإلمام بهذا المفهوم تقتصر عن الإحاطة بجوانبه، لأن الوجه اللغوي في التعريف لا يفي بتغطية الشروط الاصطلاحية."[7] فتعريف المنهج لغويا هو الطريق الواضح المستقيم المبين والخطة المرسومة، والسبيل والوسيلة المحددة للوصول إلى هدف معين، وقد أجمع الباحثون أن اليونان هم أول من استخدم كلمة المنهج أو النهج التي عني في نظرهم الطريقة التي كان يتخذها الفرد أو النهج course الذي يجريه ليسرع به إلى تحقيق أهداف معينة.[8]

وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى "الطريق" قال تعالى:{ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [سورة المائدة: 48]

ب اصطلاحا:

إن المنهج بوصفه إطارا علميا يساعد على كشف جماليات وجودة النصوص الإبداعية وفهم مكوناتها وأبعادها الدلالية، فهو أداة:" وطريقة في البحث التي توصلنا إلى نتائج مضمونة أو شبه مضمونة في أقصر وقت ممكن، كما أنه وصيلة تحصن الباحث من أن يتيه في دروب ملتوية من التفكير النظري"[9] إذن المنهج هو الأداة الإجرائية التي يستطيع بها الناقد استقراء النصوص واستنباط البواطن الجمالية أو غير الجمالية المتضمنة في النصوص ورصد أبعاد هذه النصوص.

مفهوم مناهج النقد السياقي:

---

[6] محمد عروس، النقد السياقي :أسئلته المنهجية وأسسه الفلسفية، مجلة إشكلات، جامعة تمنغاست، 2019، ص117

[7] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2013/2، ص 9

[8] ينظر، عبد الله خيضر محمد، مناهج النقد السياقية والنسقية، دار القلم، بيروت، لبنان، ص 11

[9] نفسه، ص 13

تتفق معظم تعاريف النقد السياقي على أنه دراسة العمل الأدبي من جوانبه الخارجية التي ساهمت في إنتاجه، والبحث عن العوامل المحيطة بالعمل الأدبي، فهي تلك:" المناهج التي تعنى ببحث العوامل الخارجية التي تحيط بالأدب وتؤثر عليه، محاولة تفسيره على ضوء[10] السياق الاجتماعي له. وإن كانت هذه المناهج تتحول –في أغلب الحالات- إلى تفسيرات علمية تحاول ردّ الأدب إلى أصوله، ويحاول أصحاب هذه المناهج عزل سلسلة محددة من الأفعال الإنسانية، ثم ينسب لهذه الأفعال الدور الأساسي والحاسم في تشكيل العمل الأدبي، وهكذا نجد فئة من هؤلاء يعتبرون الأدب نتاج خالق فرد في المقام الأول، ويخلصون من ذلك أن الأدب ينبغي أن يدرس أساسا على ضوء دراسة حياة المؤلف ونفسيته. ونجد فئة أخرى تبحث عن العوامل الرئيسية المحددة للخلق الأدبي في الحياة المؤسسية للإنسان وتعنى بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية."

فالنقد السياقي يبحث عن:" العلاقات الخارجية قيمتها وأهميتها، فلا يصدر العمل الفني عن فراغ فكري أو اجتماعي، إذ لا بد من مبدع ولا بد لهذا المبدع من موقف اجتماعي من قضية فئة، ومن هنا نستشرف في الدرس الأدبي دور هذا المبدع في انتاج النص وصياغته الجمالية، ثم نظهر دور الواقع الاجتماعي الذي أثّر في المبدع والعمل الفني على السواء."[11]

ومما سبق نستخلص أن النقد السياقي يبحث عن الماهية الخارجية التي تضمنها النص الإبداعي، ويعتمد في دراسة النصوص على البحث في العوامل الثقافية والاجتماعية والنفسية والتاريخية التي مرّ بها كاتب النص، فهي تعدّ النص مرآة عاكسة للواقع الخارجي الذي عاشه المبدع

[10] يسين السيد، التحليل الاجتماعي للأدب، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ص 23/22
[11] عبد الله خضر محمد، مناهج النقد السياقية والنسقية، ص 19

المحاضرة الثانية: الأسس الفلسفية لظهور المناهج النقدية السياقية

لقد صاحب تطور الأدب تطور آليات النقد ودراسة النصوص الإبداعية، فظهرت مناهج نقدية سياقية تدرس الإبداع وتبحث عن العوامل التي ساهمت في نشأته، وبالنظر إلى ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية في العصر الحديث في البيئة الغربية من تطور وازدهار، وثورات علمية وفكرية، حيث أطلق على هذا العصر عصر النهضة وعصر:" التنوير، وهو العصر الذي حدثت فيه تغيرات جوهرية، مسّت النواحي الثقافية، والحضارية، والنظرة للإنسان والكون، والحياة، وما تبع ذلك من تغيّر النظرة لطبيعة الأدب، ووظيفته، ومفهوم النقد وغاياته، وأبعاده؛ فقد انتقل الأدب من التوجه الكلاسيكي إلى التوجهات الرومانسية، وانتقلت الرؤية النقدية من النظرة التي أرسى دعائمها أفلاطون وأرسطو إلى نظرة جديدة قوامها الاستفادة من كشوفات العصر العلمية، ومرتكزاته الفلسفية والمعرفية، وبذلك كان ميلاد المناهج السياقية في النقد الأدبي، كنتاج مباشر وطبيعي لتلك التحولات الحضارية في البيئة الأوروبية."[12]

ومن هنا فإنّ البحث عن فهم للمناهج النقدية وطريقتها وآليات توظيفها وتطبيقها في تحليل النصوص الإبداعية يجب:" أن تكون قائمة على وعي مسبق بالخلفيات الفلسفية والإيديولوجية وبالمناخ الثقافي والتاريخي والتربة التي نشأت فيها."[13]فالتطرق إلى معرفة الخلفيات الفلسفية والعلوم الإنسانية التي تأثر بها النقد السياقي في البيئة الغربية سببه راجع إلى أنّنا:" لا نرى من صواب الرأي أن نأخذ من أحد شيئا دون أن نعرف أصل ذلك الشيء وفصله، وقد يتطلب منا أن نعرف أصل معطيه وفصله أيضا، ولا يصدنا عن هذا البحث في الأصول أن من سبقونا شغلوا عنها أو لم يهتموا بها."[14]

ومن أهم الخلفيات الفلسفية والعلوم الإنسانية التي تأثر بها واستند عليها أعلام النقد السياقي تتمثل في:

أ النسق أو الخلفيات الفلسفية:

حضور النسق الفلسفي في النقد الأدبي جليّ، والناقد لا يمكنه الاستغناء عن الفلسفة، لأنّها:" تصب في صلب كل تفكير وفي صميم كل بناء معرفي بل إنّها محركة لكل سؤال

---

[12] محمد عروس، النقد السياقي: أسئلته المنهجية وأسسه الفلسفية، مجلة إشكالات، جامعة تمنغست، الجزائر، 2019، ص 219
[13] علي حمودين، الخلفية الفلسفية للمناهج النقدية الغربية، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، 2008، ص 183
[14] محمد عياد شكري، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، عالم المعرفة، الكويت، 1994، ص 147/146

حول الإنسان والحياة واللغة والجمال والقيمة"[15]، فهي التي جمعت العلوم وعدّت أم العلوم، وكثيرا ما يجد الناقد نفسه ملزما ومضطرا للتعامل مع مفاهيم نقدية:" متداولة في النقد الأدبي متشحة بالفلسفة مثل: مفهوم المحاكاة، الصدق، الخيال، التفسير، التأويل، الحقيقة، الواقع، الجمال، الفن، الحلم، الموت... بل إنّ هناك مفاهيم فلسفية نابعة من اتجاهات فلسفية محددة نراها تتماوج في نهر النقد مثل العبث، والحداثة، والالتزام، والإيديولوجيا..."[16] وبذلك وجب على للناقد أن يتشبّع بالفلسفة فهي أداة تأمل ووسيلة عمل، فالتنظير النقدي عبر التاريخ مذ أفلاطون وأرسطو كان تنظيرا نقديا بمفاهيم فلسفية.

ب فلسفة العلوم التجريبية:

لقد تأثر رواد المناهج النقدية السياقية بفلسفة العلوم التجريبية التي تعتمد على الواقع الخارجي في تفسير وبناء الأحكام، وذلك بالاستناد إلى التجارب العلمية لوضع المبادئ وإقامة تصوراتها، فهي ترتكز:" على الحواس في إيصال المعرفة، وبنت قضاياها على التجربة، فالحواس منافذ المعرفة وبها نرى الأشياء، ونسمعها، ونشمها، ونذوقها، ونلمسها، فتنطبع صور المحسوسات في الذهن، وتتولد منها الأفكار."[17] فقوام فلسفة العلوم التجريبية الملاحظة والمشاهدة والتجريب وهو ما استندت عليه المناهج السياقية في دراستها للأعمال الأدبية.

عمل رواد النقد السياقي على استثمار شروط العلوم التجريبية لتحليل النصوص الأدبية وجعل النقد الأدبي نقدا علميا ومنه:" كان السبب في ازدهار المناهج السياقية في ميدان النقد الأدبي، رغبة كثير من مفكري القرن التاسع عشر ونقاده في أن يجعلوا النقد علميا بمعنى الكلمة، وذلك لسببين: الأول أنّهم كانوا معجبين بدقة العلوم الطبيعية ويقينها، وكانت النظرية المسماة بالوضعية تشيد بالعلم بصفته أعظم إنجازات العقل الإنساني، وأكثرها اتساقا، والثاني أنّهم كانوا رافضين للأحكام المغرقة في الذاتية والانطباعية."[18] فرغم الفروقات بين المناهج النقدية السياقية والعلوم التجريبية إلا أنّها تسمح بتقريب الحكم النقدي من العلمية وتبعده عن الذاتية، ويصبح المؤلف بمثابة عينة للقياس وإصدار الأحكام.

---

[15] مصطفى السيوفي، النقد الأدبي الحديث، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط2010/1، ص 12
[16] مصطفى السيوفي، النقد الأدبي الحديث، ص 12
[17] محمد عروس، النقد السياقي، ص 223
[18] نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، ص 340

ج النسق أو الفلسفات النفسية والسسيولوجية "الاجتماعية":

يعتبر الأدب انتاجا يعكس نفسية صاحبه ووجهات نظر خاصة به، وقد رأى سيغموند فرويد أنّ للإنسان مكبوتات وعقد نفسية، حيث فسّر الأعمال الفنية :" بالعودة إلى العقد النفسية، فالفن " كالحلم" تعبير عن حالات كبيت يحتل فيها " الليبيدو" مركزا مهيمنا ويسيطر فيها على منطقه اللاشعور الفردي، وغيرها من الإسقاطات النفسية التي يظهر فيها حضور المؤلف في أدبه بصورة ما هي بالأساس صورة نفسية."[19] فالأدب من وجهات علم النفس محالو تحقيق لرغبات مكبوتة لا يستطيع المبدع التعبير عنها في واقعه، فإمّا يلجأ إلى الكتابة الإبداعية أو التعبير عنها في أحلام اليقظة.

ويعدّ الأديب ابن بيئته وهذا ما يجعل الإبداع مرآة عاكسة للمجتمع، واستعار:" النقد الأدبي الحديث في صورته السياقية من الفلسفات الاجتماعية عند "دوركايم" وأوغست كونت" نظريات ومقدمات عن طبيعة المجتمع، والتغيير الاجتماعي، والصراع الاجتماعي، وصلة هذه بالأدب والظواهر الثقافية الأخرى."[20] فالنقد الأدبي اغترف من علم الاجتماع وفلسفته التي نظر بها إلى المجتمعات وسلوك الإنسان داخل مجتمعه، وبناء على:" ذلك فالأدب مثله مثل كل النتاجات الفكرية الدينية والفلسفية ينخرط في هذا الصراع ويجسده في الأعمال والنتاجات الفكرية المختلفة. وبذلك تدافع كل طبقة على مصالحها ويندمج أدبها في مسار هذا الدفاع. ومن الآراء الشهيرة التي أوردها ماركس في كتاباته الفلسفية قوله: إن عالم الإنتاج الخاص بالحياة المادية يهيمن بشكل عام على تطور الحياة الاجتماعية، والسياسية والفكرية، فليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم بل العكس فوجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم."[21] فالأدب يعكس صورة المجتمع وطريقة تفكيره وأحواله الاقتصادية والسياسية والثقافية، ويعبر عن جوهر المجمعات، وهذا بطبيعة الحال عن طريق الإبداع والكتابة، فالمبدع يتأثر بأحوال مجتمعه.

---

[19] مصطفى السيوفي، النقد الأدبي الحديث، ص 15
[20] محمد عروس، النقد السياقي، ص 226
[21] حميد لحمداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مطبعة أنفو، فاس، المغرب، ط2014/3، ص 64

المحاضرة الثالثة: المنهج التاريخي

إنّ الآداب الغربية والعربية تتسم وتزخر بالأحداث التاريخية والحقب الزمانية الماضية والحاضرة، فكثيرا ما نسمع مثلا أنّ "الشعر العربي هو ديوان العرب" الذي أرّخ لتاريخهم واستبيان لظروفهم الذي مرّوا بها وطرق معيشتهم وأحداثهم في البيئة الصحراوية، والدارس للشعر العربي كثيرا ما كان يبحث أو يطرح تساؤلا حول المناسبة التي قيلت فيها القصيدة أو سبب تأليف القصيدة، وفن الملحمة الذي ظهر في العصر اليوناني حيث امتزجت البطولة أو تفسير الأحداث بالأساطير والآلهة، فلكلّ حقبة خصوصياتها التي تتميز بها عن زمن آخر لا تتكرر فيه بنفس المواصفات.[22]

ويعد المنهج التاريخي أول المناهج النقدية السياقية التي درست الأدب في العصر الحديث، وذلك:" لأنه يرتبط بالتطور الأساسي للفكر الإنساني، وانتقاله من مرحلة العصور الوسطى إلى العصر الحديث، وهذا التطور الذي تمثل على وجه التحديد في بروز الوعي التاريخي، وهذا الوعي التاريخي هو الذي يمثل السمة الأساسية الفارقة بين العصر الحديث والعصور القديمة"[23] هذا العصر الحديث الذي أصبح يفسّر فيه الإنسان حوادثه ويبررها بأسباب علمية بعيدة عن الميتافيزيقا التي انتشرت في العصور القديمة، واستفاد النقد الأدبي من هذا التطور العلمي.

يعتمد المنهج التاريخي على الحوادث التاريخية لتفسير الأدب، ويستعين:" الناقد عادة بتاريخ العصر ونظمه السائدة لاستجلاء النص الأدبي، وإدراك ما خبّأ الزمن وراء حروفه. وهو يستعين بالعصر على الفهم. فالتاريخ لديه وسيلة للنقد."[24] فالبعد التاريخي يساعد على فهم السياقات التي قيلت أو ألّفت فيها النصوص الإبداعية، فهو:" يفيد في تفسير تشكل خصائص اتجاه أدبي ما، ويعين على فهم البواعث والمؤثرات في نشأة الظواهر والتيارات الأدبية المرتبطة بالمجتمع، انطلاقا من قاعدة الإنسان ابن بيئته"[25]، فمثلا لا يمكن فهم تطور الشعر العربي بعيدا عن سياقه التاريخي.

---

[22] ينظر، عامر مخلوف، مناهج نقدية- محاضرات ميسرة، دار الوطن، سطيف، الجزائر، 2017، ص 13/10

[23] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 23

[24] مصطفى السيوفي، النقد الأدبي الحديث، ص 130

[25] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 15

ويركز المنهج التاريخي على الصلات أو:" العلاقة المتينة بين العمل الأدبي والمجتمع الذي يتغير بفعل الزمن؛ فتتغير عاداته وتقاليده وأزياؤه وأنماط سلوكه، ونحو ذلك، فهو منهج يقوم على إبراز الصلة بين الأدب والتاريخ بمعنى أنه يربط النص وصاحبه بالبيئة والعصر والمجتمع، ويعني بكشف جوانب العمل الأدبي من منظور الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية المحيطة به"[26] فلا يمكن عزل التاريخ عن فهم النصوص الأدبية، ولا يستطيع الناقد الاستغناء عن السياق التاريخي كلّيا في فهم الأدب.

ويتكئ المنهج التاريخي على مجموعة من الأسباب فهو يرى أن النص الإبداعي يبنى على:" سلسلة من المعادلات السببية: فالنص ثمرة صاحبه، والأديب صورة لثقافته، والثقافة إفراز للبيئة، والبيئة جزء من التاريخ فإذا النقد تأريخ للأديب من خلال بيئته"[27] فلا وجود لنص إبداعي من النظرة التاريخية خاليا من الأحداث والوقائع والأسباب التي دفعت الكاتب إلى إعادة شعور مجتمعه وظروفه من خلال نصه.

وقد ضرب مخلوف عامر أنموذجا في أن الناقد لا يمكنه الاستغناء عن التاريخ وسياقاته كليا في استنطاق النصوص الإبداعية، ولا يمكن فهم خارطة الشعر إلاّ بعد فهم خارطتها السياسية والاجتماعية التي مرت بها، ففي نظره حين يقول "أبو نواس"

دع عنك لومي فأن اللوم إغراء****وداوني بالتي كانت هي الداء
لتلك أبكي ولا أبكي لمنزلة ******كانت تحل بها هند وأسماء
حاشا لدرّة أن تبني الخيام لها*****وأن تروح عليها الإبل والشاء

فإنّه لا يمكن فهم هذه الأبيات إلا في ضور الأسباب التي دفعت الشاعر إلى السخرية من الشعراء القدماء لوقوفهم على الأطلال، وافتخاره بالحضارة الساسانية لكونه من أصل فارسي.[28]

ويظل المنهج التاريخي أحد المناهج النقدية التي يعتمد عليها في دراسة الأعمال الأدبية، لأنه يبقى:" واحدا من أكثر المناهج اعتمادا في ميدان البحث الأدبي لأنه أكثر صلاحية لتتبع الظواهر الكبرى في الأدب ودراسة تطوراه"[29] والسبب راجع أنه :" المنهج الوحيد الذي يمكننا من دراسة المسار الأدبي لأي أمة من الأمم، ويمكننا من التعرف على

---

[26] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي، ص 21
[27] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 15
[28] ينظر، عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 20/19
[29] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 16

ما يتميز به أدبها من خصائص"[30] فلكل أمة في زمن ما إبداع خاص بها في تلك الحقبة الزمنية.

أعلام المنهج التاريخي في البيئة الغربية:

أدى الوضع الجديد في الدول الأوروبية التي كانت تعيش عصر النهضة والتطوير في شتى العلوم والمجالات إلى ظهور نخبة من الباحثين حاولوا استثمار هذا التطور في الأدب ومن بين رواد المنهج التاريخي في البيئة الأوروبية وأشهرهم نجد:

1 هيبوليت تين [1828-1893] [Hippolite. Taine]

اهتم بالفن والأدب ودرس النصوص الأدبية من حيث التأثيرات الثلاثة التي رآها من مؤثرات الإنتاج الأدبي هي:

العرق أو الجنس ويعني به الخصائص الوراثية المشتركة لدى أفراد الأمة الواحدة لدى جنس بشري واحد.

البيئة أو الوسط وهو المحيط الذي تعيش فيه مجموعة بشرية وانعكاساته في النص الإبداعي.

العصر أو الزمن وهو مجموع الأحوال والظروف الثقافية والاقتصادية والسياسية والدينية التي تحيط بالفرد والمجموعة وينتج الأدب في فضائها.[31]

2 فرديناند برونتيار [1849-1906] [Ferdinand. Brunetiere]

تأثر بنظرية داروين التي شاعت في أواخر القرن التاسع عشر بعد تأليف الأخير كتابه "أصل الأنواع"، فتأثر بفكرته وأسقطها على الأدب حيث رأى أن الفنون تتطور مثل النباتات وتخضع للكاثر فألف كتابه تحت عنوان " تطور الانواع" ومثال ذلك في الشعر العربي مثلما يرى مخلوف عامر في كتابه مناهج نقدية أن الشعر العربي مثلا نشأ عموديا ثم بعد ذلك ظهرت الموشحات فقصيدة التفعيلة فقصيدة النثر، كما وجدت المقامة في النثر ثم القصة القصيرة ثم الرواية، فالأنواع تتطور وتتعاقب وتتعايش.[32]

---

[30] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 16
[31] ينظر، عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص13
[32] نفسه، ص 13

3 سانت بيف [Sainte. Beuve] [1804-1869]

كان تركيزه على المؤلف تركيزا مطلقا حيث شبه عمل المبدع كالشجرة المثمرة، فكيفما تكون الشجرة يكون ثمارها، وعدّ النص تعبير عن المزاج الفرد، واهتم بالسيرة الذاتية للمؤلف وذلك بتتبع وتقصي حياته الشخصية والعائلية وظروفه التي مر بها وحاله مع مجتمعه وأصدقائه فهذه بالنسبة لبيف تمثل العوامل الخارجية وراء إنتاج النص.[33]

4 غوستاف لانسون [Gustave lanson] [1857-1934]

يعتبر أحد الوجوه البارزين في إصلاح التعليم الجامعي في فرنسا، عارض تين في أفكاره ورأى أن للمؤثرات الدور البارز والأكبر في عملية إنتاج النصوص الإبداعية، فاستحق ان يوصف برائد النقد الاجتماعي الذي أصبح ينسب إليه.[34]

أعلام المنهج التاريخي في البيئة العربية:

بعد اتصال العرب بالغرب في العصر الحديث الذي كان عصر تطور وازدهار ونهضة بالنسبة للأخير، هذا الاتصال كان بفعل عوامل عديدة أبرزها حملة نابليون على مصر والبعثات العلمية إلخ، ففي هذه الفترة الزمنية كانت تعيش الدول العربية تحت وطأة الاستعمار الذي من أبرز أهدافه طمس هويتها وثقافتها وإلحاقها بمركيز المستعمر، إلا أنه وجدت ردة فعل تاريخية أيضا فاجتهد المؤرخون والكتاب العرب لإحياء تراثهم وأممهم وإثبات هويتهم. [35] ومن بين النقاد العرب الذين تأثروا بالمنهج التاريخي نجد:

1 أحمد ضيف [1880-1945]

يمكن عده في نظر يوسف وغليسي:" أول متخرج عربي في مدرسة لانسون، فهو أول أستاذ للأدب العربي الذي أوفدته الجامعة المصرية للحصول على الدكتوراه من جامعة باريس، وقد حصل عليها برسالة عن بلاغة العرب في الأندلس."[36]

---

[33] ينظر، يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 17
[34] ينظر، عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 14
[35] نفسه، ص 15
[36] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 19

2 طه حسين [1890-1965]

تأثر طه حسين بالمنهج:" الديكارتي وبالمستشرق "موجوليث" فكتب [في الشعر الجاهلي] الذي أثار ضجة كبيرة، لأنه تساءل عن صحة الشعر الجاهلي وهل هو من إنتاج العرب قبل الإسلام أم أنّه مجرد نحل وانتحال، وهي مسألة لا تخلو من تاريخ."[37]

3 محمد مندور[1907-1965

عدّ محمد مندور الجسر التاريخي المباشر بين النقدين الفرنسي والتاريخي وهذا بعدما رشحه طه حسين للسفر إلى الدراسة بجامعة السربون، فهو يعتبر أول من أرسى معالم "اللانسونية" في الوطن العربي، وذلك بعد إصداره لكتابه المعنون ب" النقد المنهجي عند العرب" وترجمته لمقالة لانسون [منهج البحث في الأدب، هذا في حدود سنة 1946.[38]

ومن رموز هذا المنهج النقدي:" شوقي ضيف وسهير القلماوي وعمر الدسوقي في مصر، وشكري فيصل في سوريا، ومحمد الصالح الجابري في تونس، وعباس الجراري في المغرب، أما في الجزائر فيمكن أن نذكر: أبو قاسم سعد الله وصالح خرفي، وعبد الله ركيبي ومحمد ناصر وعبد المالك مرتاض."[39]

مميزات المنهج التاريخي:

اتسم المنهج التاريخي بميزات كثيرة في دراسة النصوص الأدبية يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

له الفضل للمنهج التاريخي في دراسة كثير من الفنون الإبداعية من حيث ظروف نشأتها، وتطورها عبر الحقب الزمنية.

جعل النصوص الأدبية عبارة عن وثائق تاريخية تحمل في متونها التصديق والتشكيك.

ارتباط المنهج التاريخي بالبحث العلمي الأكاديمي، حيث نشأ في أحضانه وتبنى قواعد عقلانية علمية في دراسة النصوص الأدبية.

---

[37] عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 15

[38] ينظر، يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص19

[39] نفسه، ص 20/19

النص الأدبي من منظور المنهج التاريخي لا يعدو أن يكون جسرا للعبور إلى تأكيد المعطيات التاريخية.[40]

مآخذ المنهج التاريخي:

لهذا المنهج النقدي دور مهم ووظيفة في فهم الظواهر الأدبية وتفسيرها وتحليلها، لكنه يأخذ عليه بعض المآخذ التي نجملها فيما يلي:

الاهتمام بالسياق الخارجي التاريخي في دراسة النصوص الأدبية وإهمال الجمالية التي يزخر بها النص الإبداعي.

لا تتعدى فائدة المنهج التاريخي في الفهم والتفسير للمعطيات، ففي كثير من الأحيان لا يمكن الحكم على العمل الأدبي وتميز الجيد من الرديء.

جعل المنهج التاريخي النص الأدبي عبارة عن وثائق تاريخية متضمنة في النصوص الإبداعية.

منهج إذا صلح في تفسير الظاهرة تفسيرا عاما، فإنه يعجز عن تفسير الفوارق بين أدباء عصر واحد وبيئة محددة.[41]

---

[40] ينظر، عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 20

[41] ينظر، صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 79/78

المحاضرة الرابعة: سانت بيف " Sainte- Beuve"

ارتبط ظهور المنهج التاريخي في البيئة الغربية بالفكر الإنساني في العصر الحديث، الذي ميزته في تلك الحقبة الزمنية التفسيرات العلمية والعقلية للأحداث والوقائع، وتأثير التجارب العلمية في معرفة أسباب وقوعها، ففي هذا العصر كان الغرب يعيش النهضة والتنوير، والتطور في شتى مجلات المعرفية والعلمية، هذا التطور ساهم في بروز الوعي التاريخي، الذي يعد السمة البارزة التي تفصل بين العصر الحديث والعصر القديم، هذا التطور تأثر به النقاد وحاولوا تطبيق هذا التطور المعرفي مجال الأدب والفن، وتبلور المنهج التاريخي:" داخل المدرسة الرومانسية وانبثق عنها، حيث ساهمت الرومانسية في تطور وعي الإنسان بالزمن ونظرته للتاريخ، ووضوح فكرة التسلسل والتطور والارتقاء. والقضاء بشكل نهائي على فكرة الدورات الزمانية –أو الحركة الانتكاسية للزمن والتاريخ، بمعنى أن الأفكار التي كانت سائدة قبل الحركة الرومانسية كانت تضع العصور الذهبية في الماضي، وتنظر إلى الحاضر باعتباره تحللا وانهيارا وتدهورا."[42]

فقبل ظهور المدرسة الرومانسية كان الفكر السائد هو الفكر الكلاسيكي الذي يرى أن القديم هو المعيار الذي يمثل الأنموذج الأرقى للأدب أو الإبداع، ومن النماذج التطبيقية لهذا المنهج –المنهج التاريخي- النموذج التي قدّمه سيد قطب في كتابه النقد الأدبي أصوله ومناهجه رأى أن دراسة:" الأطوار التاريخية لشعر الغزل في الأدب العربي أو شعر الطبيعة أو أي فصل من فصول الأدب الأخرى...أننا سنتتبع هذا الفصل منذ نشأته المعروفة سنجمع أولا نصوصه في أقصى ما نستطيع من مصادره ونرتبها ترتيبا تاريخيا بعد تحريرها ونسبتها إلى قائلها، وسنجمع ثانيا آراء المتذوقين والنقاد على اختلاف عصورهم لهذا اللون من الأدب، ثم ندرس ثالثا جميع الظروف التي أحاطت بتلك الأطوار وأثرت بها."[43]

ويرى النقاد والباحثون أن سانت بيف وهيبوليت تين هما من قدما و:" اختطا نهجا نقديا مستفيدين من نظرية علم الأحياء، وهما من أعطيا للمنهج التاريخي اسمه بين مناهج

---

[42] صلاح فضل، مناهج المعاصر، ص 23

[43] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1990/6، ص 147

النقد الأدبي."[44]فاستثمرا هذا التطور في العلوم التجريبية في أوروبا التي امتدت ومست المجتمعات من كل النواحي السياسية والفكرية والنقد الأدبي لم يكن بمنأى عن التأثر بهذه النهضة العلمية.

سانت بيف:

واسمه الكامل شارل أوجستان سانت بيف وفي ترجمات بوف " Charle Augustin Sainte-Beuve" ويعتبر من النقاد:" الأوائل الذين وضعوا الخطوات الأولى نحو تشييد نقد أدبي جديد يتجاوز النزعة العقائدية التي كانت تؤمن بقدسية النماذج الأدبية الكلاسيكية وترى أن جميع الكتاب ينبغي أن يتقيدوا بالأصول المسطرة في أدب الأوائل."[45] هذه النزعة – الكلاسيكية- المحافظة جعلت الإبداع أو الأدب القديم هو الأنموذج الذي يجب أن يسير وفقه أي مبدع أو كاتب، أي آمنت بأن سنن القدماء يمثل القوانين الأدبية التي لا بد لها أن تتمثل في أي إبداع كان وفي أي عصر من العصور التاريخية.

ويرجع النقاد أن الفضل في تجدد النقد الأدبي الحديث يعود إلى سانت بيف ففي نظرهم أنه ساهم في :" تجدد النقد الأدبي بشكل تام، فالأمر لم يعد أبدا يتعلق –في نظره- بتصنيف الأعمال حسب الاستحقاق بخصوص أكثرها علاقة بنموذج جامد؛ إن الأمر لم يعد متعلقا بالحكم أكثر مما هو متعلق بفهم العلاقات: علاقات النتاج الأدبي بالإنسان، وعلاقته بالنتاجات الأدبية السابقة والعتيقة، وطنية كانت أم خارجية: هكذا أصبح النقد هو دراسة العلاقات."[46] هذه العلاقات هي:" حجر الزاوية في منهج بيف النقدي لدراسة أدب عصره فيتمثل في ميله الخاص نحو دراسة شخصيات الكتاب والأدباء أنفسهم، وصولا إلى فهم نتاجهم وتفسيره. فقد كان شديد الإيمان بالعلاقات التي تربط بين شخصية الأديب وأدبه، إذ تبدو الشخصية عنده مفتاحا لفهم نتائجها وتذوقه، فبدونها يصعب تماما إدراك هذا الأدب وتذوقه."[47]

لقد انطلق سانت بيف من:" إيمانه بأن الأدب ليس إلا نتاجا لشخصية الفرد وهذا ما دعاه لأن يرسم في كل ما كتب صورة أخلاقية ونفسية وأدبية للأدباء الذين درسهم أكثر

---

[44] بسام قطّوس، دليل النظرية النقدية المعاصرة، ص 35
[45] حميد لحمداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 44
[46] نفسه، ص 44
[47] صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 72

مما سعى إلى تقديم دراسات قيمية بحق أدبهم."[48] وهذا ما جعله يركز على الذات الكاتبة للأدب ويدرس شخصيتها من كل جوانبها.

هذا التركيز على الذات الكاتبة للأدب جعل سانت بيف من دعاة دراسة:" الأدباء حسب أحوال طبيعتهم مبتدئا بخصائصهم الجسمانية، ومتعقبا لهم في حياتهم المادية والعقلية والخلقية وحياة أسرهم وكل من اتصلوا بهم وأذواقهم وعاداتهم وآرائهم، وبعبارة أخرى دعا لدراستهم دراسة عضوية نفسية اجتماعية كما ندرس الثمرة في شجرتها لنتبين خصائصها."[49]

فقد اهتم سانت بيف بالسيرة الشخصية والذاتية للكاتب، ودرس الأدب على ضوء كاتبه، ففي نظره إذا:" استقامت دراستهم على هذا النحو وضعوا في مكانهم الصحيح من مُسلَّم الأدب، وأمكن أن يُصْنع معهم ما يصنعه علماء النبات إذ يرتبونه في فصائل نباتية مختلفة، فيرتَّبوا في فصائل وطوائف حسب ما يَجمع كل فصيلة وطائفة من مشابهات وصلات."[50] وضع سانت بيف تشبيها بين الأدباء وما يجمعهم من صفات وبين فصائل النبتات والحيوانات، ففي نظره كل فصيلة إلا ولها صفاتها الخاصة بها، وكذلك بين:" الأدباء ما يميزهم في أمزجتهم وشخصياتهم تمييزا فرديا وما يجمعهم جمعا يتيح للنقاد أن يضعوهم بحسبه في مراتب وعلى طبقات. وهذا هو ما نعتمد عليه في استخلاص قوانين الأدب العلمية، نستخلصها مما يشترك فيه الأدباء أو مما تشترك فيه فصائلهم على نحو ما يصنع علماء النبات والحيوان حين يقسمونها إلى فصائل، يضعون لها الصفات والقوانين."[51]

فالتقسيم أو التصنيف الذي يضع للأدباء في نظر سانت بيه إما يعتمد على الصفات الشخصية التي يشتركون فيها، أو يعتمد على نوع الإبداع أو الكتابة الأدبية التي يتشابهون فيها، وهو ما جعل شوقي ضيف في كتابه الموسوم في النقد الأدبي يصف النقد التاريخي لسانت بيف بأنه:" علم يمكن أن نسميه" التاريخ الطبيعي للأدب" ينقسم فيه الأدباء إلى أنماط، وينتمي كل نمط منهم إلى فصيلة معينة لها معالمها وميزاتها وخصائصها."[52]

---

[48] بسام قطّوس، دليل النظرية النقدية المعاصرة، 36

[49] شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9، ص 37/36

[50] نفسه، ص 37

[51] نفسه، ص 37

[52] نفسه، ص37

فكل فصيلة في نظره أو أدب له خصائصه التي تميزه عن باقي الفصائل الكتابة الاخرى، وكل مجموعة من الأدباء يشتركون في صفات من خلالها يمكن تصنيفهم، فإذا تم الكشف عن كل ما يتعلق بالأديب أمكن:" للمؤرخ الأدبي أن يميز فيه بين الفردي الذاتي والجماعي المشترك بينه وبين شاكلته من أدباء بيئته وعصره، بحيث ينحي عنه كل ما يتصل بفرديته وذاتيته، حتى يوضع في مكانه الصحيح من الأسرة الأدبية الخاصة في أمته، وحتى يوصل علميا بينه وبين فصيلته الأدبية."[53] فالهدف الأساسي لسانت بيف هو البحث عن الصفات المشتركة بين الأدباء، وهو ما يسهل عملية التصنيف ووضع كل كاتب أو أدب في الفصيلة المناسبة له.

والنقد الأدبي من منظور سانت بيف ليس علما فحسب، وأنه يستطيع أو أنه من الممكن أن يخوص أو يزاوله كل إنسان مثلما يزاول علماء الحيوان والنبات أبحاثهم ودراساتهم العلمية، بل كان يؤكد ويركز على أن النقد فن أيضا، ويجب أن يتناوله فنان، فامتلاك الفن والموهبة يساهم ويساعد على التمييز بين الفصائل الأدبية، فالفرق بين البحوث العلمية والبحوث الأدبية النقدية يمكن في تذوق الأعمال الأدبية.

أما فيما يخص دراسته للأعمال الأدبية فيرى أن الأدب القديم لا يمكن دراسته وتمحيصه مثل الأعمال الأدبية الحاضرة، وهذا راجع إلى المعلومات الناقصة التي وصلتنا من الأدب القديم، عكس أعمال المحدثين التي تصلنا أخبارهم ومعارفهم ونستطيع البحث عنهم ودراستهم وفق منهج علم.[54]

ومن كتب سانت بيف "أحاديث الاثنين" و" أحاديث الاثنين الجديدة" ففي هذين الكتابين درس بيف الأدباء أديبا أديبا ووضّح فيها خصائص كل أديب ونمطه والظروف التي مرّ بها وبيئاتهم وأصدقائهم وانتكاساتهم، وشهرتهم وأدق التفاصيل الخاصة بهم.[55]

خصائص وميزات النقد التاريخي عند سانت بيف:

بعد رؤيتنا للمنهج التاريخي عند سانت بيف نستخلص أهم الميزات التي تضمنتها بحوثه في هذا المنهج النقدي والتي من بينها:

---

[53] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، ص 24
[54] ينظر، محمد مندور، في الأدب والنقد، دار هنداوي، المملكة المتحدة،2022، ص 48/47
[55] ينظر، شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص 37

ميل أعماله النقدية والأدبية إلى التصنيف واكتشاف الأنماط الذهنية المختلفة انطلاقا من دراسة الإنتاجات الأدبية، وفي هذا الصدد تأكيد على الحضور المبكر للنزعة العلمية التي ستهمين فيما بعد بشكل كبير في أراء وأفكار تين وبرونتيار.

الاستفادة من التاريخ والنزعة التاريخية وتسخيرها من أجل استنتاج واستخلاص صورة المبدع من خلال أدبه أولا ومن خلال المعلومات المتوفرة عنه خارج ادبه ثانيان وهذا ما يسهل إدراك العلاقات الموجودة بين الأدب والمبدع والواقع الذي يعي فيه.

استخدام الذوق الفني والتعاطف مع الأعمال الأدبية مما جعله نقدا انطباعيا في كثير من جوانبه وتقويميا أحيانا.[56]

المحاضرة الخامسة: هيبوليت تين "Hippolyte Taine"

شهد النقد الأدبي في العصر الحديث تطورا كبيرا في آليته وإجراءاته التحليلية للنصوص الإبداعية، وذلك بتأثره بالعلوم التجريبية ومحاولة إسقاط ما توصل إليه الأخير في الدراسات الأدبية، فظهرت المناهج السياقية التي ترى بأن العوامل الخارجية لها تأثير مباشر في إنتاج الأدب، فجلّ الأعمال الأدبية والفنية تنتج و:" تصدر عن خلفية اجتماعية معيّنة، بل وتتحرك أمامها في علاقة لا يمكن إنكارها؛ فهي تجسّد معتقدات حضارة الفنان ورموزها، وتعكس خصائص العصر الذي تنتمي إليه."[57]

ترى الدراسات السياقية أن الأعمال الأدبية والفنية لم تنتج من العدم وإنما هناك دوافع وأسباب وراء إنتاج هذه النصوص، فالأدب:" خرج من سياق معين ولم يصدر عن فراغ، فقد ابتدعه إنسان له سمات نفسية معينة، وعاش في مجتمع لا بد أن نُظمه وقيمه أثّرت في تفكيره وكيانه، وكانت له انتماءات سياسية واقتصادية وطبقية ...في سياق تاريخي له خصائصه المميزة. وهذه المؤثرات التي أبدع الفنان عمله في ظلها، تتبلور في أشكال جميلة ومؤثرة بدورها في الحياة الشخصية والاجتماعية للمتلقين، بمجرد نشره هذه الأعمال أو عرضها."[58] فلا بد من وجود دوافع أدت إلى كتابة هذا الأدب، فالأديب يتأثر بالظروف المحيطة به، ويبحث عن طرق تواكب العصر الذي وجد فيه.

---

[56] حميد لحمداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 46
[57] نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، ص 337
[58] نفسه، ص 338

ويرجع الدراسون أسباب ظهور ونشأة المنهج التاريخي في البيئة الغربية في القرن التاسع عشر إلى عدة دوافع يتجلى أهمها في أن هذه الفترة الزمنية كان اهتمام خاص:" في فرنسا بإعادة كتابة التاريخ الوطني...ذلك أن التاريخ قبل هذه الفترة كان عبارة عن سرد للوقائع لا يقدم للقارئ تصورا مبنيا ومفكرا فيه من قبل المؤرخ وإنما يعيد سرد الأحداث والتواريخ في شكل أخبار ووقائع. وهو ما كان يجعل القارئ أمام مادة خام، عليه أن يعيد صياغتها من أجل فهم ما وراء وقائع التاريخ."[59] يعد كتابة التاريخ الفرنسي أحد أبرز نتاجات المنهج التاريخي، فالمؤرخ في الحقبة ما قبل القرن التاسع عشر كان يعرض الوقائع بطرق مباشرة دون إضافة صبغة جمالية فنية للنصوص، ومن هنا نجد أن الفرق بين المؤرخ والأديب أن الثاني يحاكي التاريخ ولكن وفق منظور جمالي فني يؤثر في نفسية القارئ.

ففهم السياق التاريخي الذي أنتج فيه النص والظروف التي مرّ بها الأديب تنير طريق القارئ لتفسير الأدب والظروف المحيطة به في ذلك العصر، وهذا بسبب الحاجة لمعرفة التاريخ الفني للأعمال الأدبية، فمن المنظور النقدي كل:" عمل أدبي ظاهرة تاريخية، وثمرة فنان معين، وزمن وحضارة معينة، ومعرفتنا للعصر الأدبي الذي ولد فيه العمل الأدبي، والثقافة التي سادت هذا العصر والمذهب إذا وجدت مذاهبه هذه جميعا تكون وسائل لإنارة العمل الأدبي وإلقاء شعاع منير عليه."[60]

هيبوليت تين: Hippolyte Taine "1828-1893"

فيلسوف ومؤرخ وناقد فرنسي يعدّ من أعلام المنهج التاريخي في البيئة الغربية عموما وفي فرنسا خصوصا، يرجع بعض الباحثين إن لهيبوليت تين دور كبير في بلورة الفكر النقدي الأدبي العلمي في العصر الحديث، فمثلا تحدث:" إميل زولا Emile Zola "1840-1902"، وهو أحد تلامذة تين عن الخصائص المميزة للنقد الجديد الذي شيده أستاذه فقال: أعتقد أنه شكّل المنهج الوحيد الممكن للنقد الأدبي، لقد أدخل فيه طابع الدقة الذي يتميز به العلم إلى جانب كل ما تتمتع به الشخصية الحية للفنان من حرية."[61]

يعتبر تين من تلامذة سانت بيف، وهو من دعاة التجديد في تطبيق المنهج التاريخي في الدراسات الأدبية، فقد عدّ تين من الذين اكتمل معهم نضج المنهج التاريخي، حيث:"

---

[59] حميد لحمداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 43/42
[60] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي، ص 22/21
[61] حميد لحمداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 47

بلغ النقد التاريخي تمام نضجه- لأول مرة- في أعمال الناقد الفرنسي تين في منتصف القرن التاسع عشر. وتين من مدرسة تضم ميشيليه، وسانت بيف. وهي مدرسة شغلت نفسها بتفسير الآثار الأدبية في ضوء ظروفها التاريخية. ولكن تين كان أول ناقد من هؤلاء حاول أن يضع قواعد منسقة على نطاق واسع."[62]

تأثر هيبوليت تين بالعلوم الطبيعية التي تعتمد على التجربة والتفسير العلمي والتحليل المنطقي في دراسة وتتبع الظاهرة المدروسة، فمثلا علماء النبات يعاينون تطور النبات وطريقة نموه وهذا بالملاحظة والتجربة، فقد كتب في:" مؤلفه "فلسفة الفن" {1865-1869} إن المنهج المعاصر الذي أحرص على إتباعه- وهو منهج بدأ يدخل في نطاق كل العلوم المعنوية- يرتكز على اعتبار النتاجات الإنسانية وبخاصة النتاجات الفنية كوقائع ونتاجات ينبغي تعيين خصائصها والبحث في أسبابها لا غير. وإذا فهم العلم على هذا النحو، فإنه لن يكون من شأنه أن يحرم أو يبيح، إنه سيلاحظ ويفسر."[63]

أراد هيبوليت تين تطبيق النظريات العلمية في العلوم الطبيعية التي كان أكثر انبهار بها وبنتائجها الصارمة، فإذا اعتمد بيف على دراسة شخصية الأديب ورأى أن الأدب أشبه بما تكون به الثمرة في شجرتها، فإن تلميذه تين شبه انتاجات الإنسان الشعرية والفلسفية والأدب عموما بنتاجات دودة القز لخيوط الحرير، فوجود شجرة التوت وودة القز ينتج عنه وجود الحرير.[64]

فتشبيه تين الأعمال الأدبية والنتاجات التي يقوم بها الإنسان بدودة القز في إنتاج الحرير، أن الإنتاج الأدبي له دوافع وظروف توفرت أدت إلى إنتاج الأديب لهذا العمل الأدبي فلا بد للدارس من معرفتها، في نظره كل" نتاج فني ينتمي إلى حقبة، وإلى شعب وإلى وسط إلا ويكون في علاقة مع بعض التمثيلات أو الغايات تاريخية كانت أو غير ذلك، بحيث يجب على كل من نذر نفسه لدراسة الفن أن يمتلك أيضا معارف واسعة تاريخية وخاصة في نفس الوقت، بالنظر إلى أن الطبيعة الفردية للنتاج الفني تستوجب معرفة عدد من التفاصيل الخاصة والنوعية بدونها لا يمكن أن تصبح مفهومة أو مؤَوّلة."[65]

---

[62] مصطفى السيوفى، النقد الأدبي الحديث، ص 131
[63] حميد لحمداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 48/47
[64] ينظر، صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 73
[65] حميد لحمداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص50

ربط هيبوليت تين الأدب بالزمن الذي ظهر فيه، فقد أولى اهتماما بالغا:" باللحظة التاريخية التي ولد فيها العمل الأدبي، إذ لا يجوز تفسير العمل الأدبي، بمعزل عن الزمن الذي كتب فيه ذلك العمل الأدبي."[66] وركز تين على عناصر رئيسية ثلاث في دراسة الأدب وهي العرق والبيئة، والعصر، حيث رأى أن هذه العناصر تؤثر في الأدب والإبداع الفني.

1 العرق:

يقصد هيبوليت تين بالعرق أو الجنس أو السلالة مجموعة الصفات التي يشترك فيها أفراد أمة تميزهم عن الأمم الآخرين، فمثلا الأديب الغربي غير ما يميز الأديب العربي.[67]

ويعني أيضا- العرق- عند تين:" الاستعدادات الفطرية الوراثية التي تميز مجموعة من الناس انحدروا من أصل واحد، كالمزاج الانفعالي ... والسمات النفسية، إلى جانب الدوافع الفطرية التي تؤثر في الأفعال الإنسانية...ذلك أن كل جنس من الأجناس البشرية خضع لعوامل واحدة من البيئة الطبيعية"[68] فالأديب يتأثر بأحوال مجتمعه وبظروفهم وبالخصائص التي تميزهم عن باقي المجتمعات والأمم الأخرى.

2 البيئة

البيئة أو الوسط أو المكان تعني عند هيبوليت تين:" مجموعة:" الخصائص والميزات الإقليمية الجغرافية التي يحيا في ظلها أديب ما وتترك أثرها فيه."[69] فهي – البيئة-تؤثر على نفسية الأديب الذي سينعكس في أدبه فهي:" موطن الإنسان وعالمه الذي يعيش فيه، ويتشكل من خلاله، مما يجعلها تقدم تفسيرا منطقيا للأدب، وهي تعني المناخ الجغرافي والاجتماعي في آن واحد، فالبيئة هي ما يحيط بالجنس من عوامل طبيعية ترجع إلى حالة الإقليم الذي يسكنه، والعوامل السياسية والاجتماعية التي تؤثر في تفكيره."[70]

---

[66] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي، ص 26
[67] ينظر، صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 74
[68] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي، ص 26
[69] ينظر، صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 74
[70] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي، ص 26

3 العصر:

العصر أو الزمان أو اللحظة والتي يقصد بها هيبوليت تين ما وجد عليه الناس في فترة زمنية ما، أو ما:" عليه الناس في حقبة من الحقب، أو في جيل من الأجيال. فالناس في كل حقبة وجيل هدف مثالي خاص يعملون للوصول إليه... وفي الناحية الأدبية كان شاعر الأمير أو شاعر البلاط هو الشاعر المقدم على غيره."[71]

يرجع اهتمام تين بالعصر لمعرفة الخصائص والظروف التي تميّز بها، لأن في ظلها يحيا الأديب وينشئ أدبه، فواقع التيارات السياسية التي سادت في حقبة أو في عصر من العصور والظروف الاقتصادية التي صاحبت هذا العصر والعلاقات الاجتماعية والعوامل الثقافية والدينية لها دور في تبلور فكر الأديب وأدبه، فتحديد الفترة التاريخية ومعرفة أحوال هذا العصر يمكّن الناقد من فهم نشأة الأجناس الأدبية، فمثلا فن الملحمة ظهر في العصر اليوناني الذي امتزجت فيه البطولة بالأساطير والآلهة، ولا يمكن فهم ظهور المقدمة الخمرية في العصر العباسي إلا بعد معرفة ما تميز به العصر من ترف ورفاهية ومجون.[72]

المحاضرة السادسة: فرديناند برونتيار

يشكّل التاريخ ماهية الأمم والمجتمعات المتعاقبة عبر الحقب الزمنية، فلا يمكن أن ينصل الإنسان من تاريخ أمته وسيبقى:" حقيقة مائلة في حياة الإنسان، ولا يمكن لأي امرئ أن يتخلص من أسره. إنه ها هنا في حاضر الإنسان وهو يجرجر ماضيه ويستشرف مستقبله. فلا الأديب ولا الناقد الأدبي بإمكانه أن يتنصّل من التاريخ. فالتاريخ هو الإنسان وهو الحياة"[73]يعد التاريخ وعاء الأمم الذي يوثق لمحطاتها التي مرت بها، ويسجل الثقافات التي عرفتها هذه الأمم وإلى ما وصلت إليه ويعبر عن ملامح مجتمعاتها.

يساعد التاريخ الناقد الأدبي في فهم أحوال الأمم ويساهم في تحليل النصوص الأدبية التي اشتهروا بها في تلك الفترة الزمنية، ومعرفة المناسبات التي قيل فيها الأدب

---

[71] مصطفى السيوفى، النقد الأدبي الحديث، ص 133
[72] ينظر، صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 74
[73] عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 10

بأجناسه الإبداعية، وقد قسم التاريخ العربي مجازا لنظم الحكم المتتابعة فيقال: عصر جاهلي، وعصر إسلامي وأموي وعباسي إلخ، واعتاد الباحث للشعر العربي ذكر المناسبة التي قيل فيها القصيدة أو أسباب تأليفها، وما هذه المناسبة إلا تاريخ، ومن نماذج ذلك معلقة "زهير بن أبي سلمى" التي ارتبط مضمونها بحرب داحس والغبراء من قبيلة غطفان في الجاهلية، فلا يمكن للنقاد أو الدراس للأدب الوقوف على طبيعة الشعر قبل الإسلام لو لم يعد إلى النظام القبلي الذي كان سائد آنذاك فيشبه الجزيرة العربية.[74]

وهذا طبيعي إذا علمنا أن لكل عصر مميزاته والخصائص التعبيرية التي:" تتشكل في أغلب الأحيان انعكاسا لطرائق التفكير والأنساق الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة، فإن الديناميكية التاريخية غالبا ما تلح بقوة على ضرورة الارتقاء والتطور وحتى التفوق عن الانجازات والمفاهيم التي وصلت إليها العصور المنجلية"[75] وهذا ما يجعل الأديب يبحث دائما على أساليب فنية تتماشى والعصر الذي هو فيه، والناقد يبحث عن آليات جديدة لدراسة هذه الأعمال الأدبية المستحدثة في هذا العصر. وقد رأت نازك الملائكة أنه:" من الضروري أن تساير الحركة الشعرية الحركة التطورية للحياة"[76] أي لكل عصر روحه لكل حقبة مميزاتها ولكل فترة زمنية طرائق تفكير تختلف عن التي مضت.

ومن هنا يرى هيجل أن الأدب يعبر عن المجتمع الذي أنتجه، وهذا المجتمع دائما قابل للتبدل والتغير، وذلك بتأثير الأفكار التي ينتجها ولا تتوقف، فالمجتمع في أي عصر تاريخي يحاول البحث عن طرق مستجدة تساعده على التطور والتقدم.[77]

والنقد التاريخي يبحث عن تفسير الأدب والظروف التاريخية التي نشأ فيها أو تطور فيها الجنس الأدبي، ويرمي:" قبل كل شيء إلى تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات وشخصيات الكتاب، فهو يعنى بالفهم والتفهيم أكثر من عنايته بالحكم والمفاضلة. والنقاد الذين يجنحون إلى هذا النقد يؤمنون بأن كل تفسير من الممكن بعد ذلك أن يخرج منه القارئ بحكم لنفسه."[78]

---

[74] ينظر، نفسه، ص 10
[75] سيف الله هشام توتاي، شعرية الانزياح في بنية القصيدة العربية، دار غيذاء، الأردن، 2017، ص 91
[76] نفسه، ص 115
[77] ينظر، مصطفى السيوفى، النقد الأدبي الحديث، ص 131
[78] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 19

فرديناند برونتيار

فرديناند برونُتيير Ferdinand Brunetière (1849-1906) ناقد فرنسي أحد تلامذة تين، وقد سعى برونتيار إلى تطبيق منهج نقدي علمي يفسر الأدب ويحلل قضاياه وفق مبادئ وأسس قوامه العلم، وخالف أستاذه تين في طريقة دراسته للأعمال الأدبية وفق الثلاثية المتمثلة في العرق والجنس والعصر، ويعد برونتيار من الذين تأثروا بالفكرة الداروينية، وطبقها على الأجناس الأدبية مثلما طبقت في ميدان الاخلاق والاجتماع من طرف هوبرت سبنسر،[79]إذ:" أنفق جهودا معتبرة في تطبيقها على الأدب، متمثلا الأنواع الأدبية كائنات عضوية متطورة، فكما تطور القرد إلى إنسان، تطور الأدب كذلك من فن إلى آخر وقد كتابه "تطور الأنواع الأدبية" سنة 1890، على غرر كتاب "أصل الأنواع" لداروين؛ حيث رأى أن الآداب تنقسم إلى فصائل أدبية مثلها مثل الكائنات الحية، وأنها تنمو وتتكاثر متطورة من البساطة إلى التركيب في أزمنة متعاقبة حتى تصل إلى مرتبة من النضج قد تنتهي عندها وتتلاشى وتنقرض كما انقرضت بعض الفصائل الحيوانية."[80]

وبذلك فقد استفاد وتأثر فرديناند برونتيار بالعلوم الطبيعية عموما والعلوم البيولوجية خاصة، وبخاصة:" نظرية النشوء والارتقاء لداروين، فعمل على تطبيق مذهب التطور على الأدب، وشبه الأشكال الأدبية بالأنواع البيولوجية، وعد الأنواع الأدبية أنواعا حقيقية تنمو حتى تبلغ نقطة الكمال، ثم تضمحل حتى تموت، أو تتحول كي تحيا مرة أخرى في نوع جديد، يجمع عناصره من بقايا نوع سابق."[81]

ففي نظر برونتيار الفنون والأنواع الأدبية تظهر على أعقاب بعضها ببعض، وأن:" التطور في حقل الظاهرة الأدبية كثيرا ما يؤدي إلى ظهور نوع جديد تتضح فيه بقايا سابق على النحو الذي تتطور فيه الكائنات العضوية ...حيث تنشأ بسيطة ثم تتعقد متفرغة إلى أجناس ما تلبث أن يعترها التطور والاكتمال فالتدهور فالتحليل، وبما أتاح له فيما بعد تقسيم الفن إلى أجناس."[82]

ومن النماذج التي اتخذها برونتيار لتطبيق نظرته وتأكيد دراسته حول تطور الفنون والأنواع الأدبية اختار في:" تطبيقاته ثلاثة أنواع أدبية هي: المسرح والشعر الغنائي والنقد

---

[79] ينظر، محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط2006/5، ص 133
[80] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 17/16
[81] عبد الله خضر حمد، مناه النقد الأدبي، ص 29
[82] صالح هويدي، المناهج الحديثة، ص 70

الأدبي، ومن أبرز تفسيرات برونتيار، ما تصوره حول تطور الخطاب الديني في القرن السابع عشر، فقد تحول الخطاب الديني بمواضيعه التي تدور حول عظمة الإنسان وحقارته وزوال الحياة وفنائها، إلى الشعر الغنائي المعروف بالشعر الرومنسي في القرن التاسع عشر، حينما صار الشاعر يتغنى بالطبيعة، وسمو الروح، والشكوى من الحياة، فوحدة الموضوعات مع اختلاف الصياغة بين الوعظ والشعر دليل، في نظر برونتيار وفقا لنظرية داروين على ان هذا منحدر من ذاك."[83]

لقد حاول فرديناند برونتيار تأليف وكتابة عديد من:" المجلدات تحت عنوان تطور أنواع الأدب تناول في كل مجلد منها دراسة تطور فن من الفنون الأدبية، كتطور الدراما وتطور فن القصة وتطور فن الخطابة، مستقصيا أصول كل فن منها وكيفية تطوره واستوائه إلى فن ناضج."[84]

يرى شوقي ضيف أن نظرية تطور الأنواع الأدبية عند برونتيار صحيحة إلا أن الاختلاف الحاصل بينهما أن الأول يذهب برأيه أن الأنواع الأدبية لا يقضي بعضها على بعض ولا يمحو بعضها بعضا مثلما يرى الثاني، فصحيح الأنواع الأدبية تنشأ وتنمو وتتطور من زمن إلى زمن آخر كما تتطور الكائنات العضوية، إلا أن النوع الجديد لا يحكم على القديم بالفناء، ومثال ذلك الشعر العربي في العصر الجاهلي على الرغم من أنه يمثل فترة تاريخية قديمة مزال يطرب آذان سامعه ذلك أنه حي مثل جديده ، وقد يصب النوع الأدبي الضعف في مرحلة زمنية ما وتعود إليه حيويته في عصر لاحق.[85]

المحاضرة السابعة: غوستاف لانسون

يلح الأدباء والنقاد على ضرورة التجديد في بنيات وهيكل الإبداع الأدبي، أو الدعوة إلى البحث عن طرق مستحدثة يخرج بها الأدب مواكبا للعصر، فنجد على السبيل المثال نازك الملائكة تلح على:" ضرورة إخراج القصيدة العربية عن ما كان مألوفا في العصور السابقة، لأن القصيدة المعاصرة خاضعة إلى التغيرات الجديدة التي تمنحها صورة المعاصرة، فتكون اللسان الناطق باسم العالم المعاصر، وما يشهده من أوجاع وانكسارات، ارتسمت تجاعيدها على جبين الإنسان المعاصر، وبهذا التصور تستطيع القصيدة تجسيد

---

[83] عبد الله خضر حمد، مناه النقد الأدبي، ص 29
[84] صالح هويدي، المناهج الحديثة، ص 70
[85] ينظر، شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته- مناهجه- أصوله- مصادره، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، ص 95

الإنسان المعاصر والحياة المعاصرة على حد سواء"[86] وهو ما يجعل الناقد يبحث عن آليات جديدة يدرس بها الأعمال الأدبية الجديدة في العصر الجديد، هذا الأدب المستحدث والنقد الجديد في العصر الذي ظهرا فيه يشكل تاريخا لا بد من معرفة أسباب التجديد وطرقه.

إن العصر الحديث يمثل عصر التطور والنهضة في البيئة الغربية التي عاشت في القرون الوسطى الظلام وتفسير الأحداث تفسيرا ميتافيزيقيا أو تفسيرا لاهوتيا، فالعصر الحديث هو عصر التفسير العلمي، هو الفارقة- العصر الحديث- بين العصور، عصر ظهرت فيه البحوث العلمية في شتى مجالات العلوم، فأدى:" هذا الوضع الجديد بعد النهضة الأوروبية وتطور العلوم في شتى المجلات إلى ظهور نخبة من الباحثين استثمروا رصيدهم العلمي والمعرفي لدراسة الأدب. فيما أصبح يسمى النقد العلمي منذ القرن التاسع عشر."[87]

ومن الذين اشتهروا بتطبيق النظريات العلمية وإسقاطها على الدراسات الأدبية نجد **غوستاف لانسون** "1857-1934" Gustave Lonson، وهو:" مؤرخ وناقد فرنسي كان له تأثير كبير حتى منتصف القرن العشرين... خالف تين حين ذهب إلى أن للمؤثرات الاجتماعية الدور الأكبر في عملية الإنتاج الأدبي."[88]

ويعتر غوستاف لانسون من الذين تأثروا بالتحليل والتفسير العلمي، وقد عدّ الرائد:" الأكبر للمنهج التاريخي الذي أصبح يعرف كذلك بالانتساب إليه ؟اللانسونية"، وقد أعلن لانسون عن هويته المنهجية سنة 1909، في محاضرة بجامعة بروكسل حول[الروح العلمية ومنهج تاريخ الأدب]، ثم أتبعها سنة 1910 بمقالته الشهيرة [منهج تاريخ الأدب] التي نشرها في مجلة الشهر [Revue du moi] وقد حدد فيها خطوات المنهج التاريخي، حتى غذت تلك المقالة[قانون اللانسونية ودستورها المتبع] على حد تعبير أحد الدارسين."[89]

---

[86] سيف الله هشام توتاي، شعيرة الانزياح في بنية القصيدة العربية، ص 116
[87] عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 12
[88] نفسه، ص 14
[89] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 18

استلهم غوستاف لانسون منهجه بشغفه بالعلوم التجريبية التي لقت الاهتمام البالغ في تلك الفترة الحساسة، التي أعلت القيمة للمنهج التجريبي، حيث وجد المنهج التاريخي مناسبا لتحليل النصوص الأدبية. درس الأدب من منظور التاريخ وربط تطور الأدب بتطور النظام الاجتماعي، ومن الفسفات التي تأثر بها لانسون فلسفة إميل دور كايم ومنه أخذ مفهوم "القانون الخاص للتاريخ" وقام بتطبيقه في مجال الأدب، بمعنى يجب أن يكون للأدب قوانينه الخاصة به مثلما أن للمجالات العلمية قوانينها الخاصة به، أي لا بد من وجود تحليل علمي للدراسات الأدبية التي تدرس وفق قوانين.[90]

انطلق غوستاف لانسون في تحديده لمفهوم الأدب بين التمييز الموجود بين الدراسات الأدبية والدراسات التاريخية، ففي نظره عمل الأديب كالمؤرخ فكلاهما يمتلكان الكثير من الوثائق والنصوص التي تساعدهما في إنجاز ما يطمحان إليه، غير أن الاختلاف البارز بينهما أن الأول يعتمد على جماليات وفنيات وصورا خيالية تؤثر في نفسية المتلقي فتثير إعجابه هذه النصوص. ويؤكد لانسون أن النصوص الأدبية طبيعة ذاتية ميزتها طريقة صياغتها، فأسلوبها وجمالية صياغاتها هي التي تتفرد بها النصوص الأدبية عن النصوص التاريخية، وإدراكها يكمن في تحليلها من الجانب الفني لكيفيات صياغتها.[91]

وهو ما جعل غوستاف لانسون يعتبر تاريخ الأدب ما هو إلا جزء من تاريخ الحضارات والأمم، فالمؤرخ الأدبي يستعين بالتاريخ ولا ينفصل عنه دون أن يتحول المؤرخ الأدبي إلى مؤرخ يتناول دراسة النصوص ويصفها بطرق مباشرة مثل البحث في التاريخ وعلم الآثار، فهو –المؤرخ الأدبي- يبحث في الثقافة الإنسانية ويبحث في ما وصلت إليه هذه الثقافة من طرق جديدة في الإبداع الأدبي وأسلوبها الموظف في العملية الادبية. فمؤرخ الأدب يحاول دراسة النفس الإنسانية والحضارات القومية في مظاهرها الأدبية، فهو يتخذ الأدب مادة الدراسة حتى يصل إلى معرفة حركة الأفكار والحياة وإرثها الثقافي من خلال طرائق كتاباتها وأساليبها الأدبية.[92]

وفيما يخص الدراسات النقدية للأدب فيرى غوستاف لانسون لا بد من التفريق بين الأبحاث العلمية للعلوم الطبيعية والعضوية والأدب، فلا يمكن تطبيق هذه الأبحاث على

---

[90] ينظر، حميد لحمداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 53/52

[91] ينظر، فاروق العمراني، تطور النظرية النقدية عند محمد مندور، الدار العربية للكتاب، تونس، 1988، ص 53

[92] فاروق العمراني، تطور النظرية النقدية عند محمد مندور، ص 54/53

الدراسات الأدبية، فهو يرى أنه:" لا يمكن أن يبني أي علم على مقاس علم آخر، فتقدّم العلوم يرتبط باستقلال بعضها عن البعض. هذا الاستقلال هو الذي يسمح لها بأن تهتم بموضوعها، ولكي يكون للتاريخ الأدبي بعض العلم ينبغي له أن يبدأ بأن يمنع نفسه من الخضوع لمناهج العلوم الأخرى كيفما كان نوعها"[93] فلقد انتقد غوستاف لانسون وحكم بإخفاق تين وبرونتيار في تطبيق نظريات العلوم الطبيعية والعضوية في مجال الدراسات الأدبية، حيث يعتقد بأنهما شوها الأدب بهذه الإسقاطات والمعادلات العلمية، لأنها بالنسبة للانسون خادعة ولا تفضي للناقد بفهم النص الأدبي والتماس مواطن الجمال فيه، وهذا نابع عن قناعته لمفهوم الأدب الذي يرتكز على الجمالية والفنية والذوق، فالناقد لا يمكنه أن يتبرأ من حسه الجمالي وذوقه الشخصي لما يثيره النص الأدبي بفضل أسلوبه ومميزات صياغته من صور خيالية وانفعالات شعورية.[94]

أما مراحل دراسة النص الأدبي عند غوستاف لانسون فقد لخصها فاروق العمراني في كنابه تطور النظرية النقدية عند محمد مندور في:" ثلاث مراحل: المرحلة الأولى تمهيدية تتعلق بالمظاهر المادية للنص، وتتمثّل المرحلة الثانية جوهر العمل ، فتدرس النص دراسة حرفية وأدبية، والثالثة والأخيرة تنظر في التأثير الاجتماعي للعمل الأدبي."[95] هذه المراحل الثلاث تلخص المحطات التسع التي من خلالها درس لانسون النص الأدبي، والتي من بينها النظر في نسبة النص صحته من انتحاله، هل النص الأدبي كامل لا يعوزه النقص، تاريخ كتابة النص، ومختلف الطبعات الخاصة به من الطبعة الأولى إلى الطبعة الأخيرة، كيف تكون النص من أول مسودة إلى إخراجه في حلته أي البحث عن المراحل التي مر بها هذا النص، النظر في معنى الألفاظ والتراكيب المتضمنة في النص، النظر في المعنى الأدبي للنص واستخراج العاطفة والفنية، كيف تكون النص؟ وهنا البحث عن التأثيرات والظروف الخارجية التي كونت النص، نجاح النص وتأثيره الاجتماعي.[96]

يرى صلاح فضل أن الكتابات النقدية لغوستاف لانسون وعلى وجه:" التحديد كتابه منهج البحث في الأدب وهو كتاب بالغ الوجازة والكثافة والجمال، نستطيع أن نتبين الخطوط الأساسية للمنهج التاريخي في دراسة الأدب ونقده فيه فقد كان كتاب لانسون هذا هو البلورة العلمية الأخيرة للمحددات الأساسية في المنهج التاريخي في النقد الأدبي."[97]

---

[93] حميد لحمداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص 56/55
[94] ينظر، فاروق العمراني، تطور النظرية النقدية عند محمد مندور، 57
[95] نفسه، ص 59
[96] نفسه، ص 59/58
[97] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 32

يعد غوستاف لانسون من أكثر الباحثين:" والأساتذة الذين أثروا في النقد العربي، ويكفي أن نعد من تلاميذه على الأقل طه حسين من الجيل الأول من نقادنا العرب، ومحمد مندور من الجيل الثاني، الأمر الذي يجعل اللانسونية وهي التسمية التي نطلقها على المنهج التاريخي في النقد نسبة له لأنها تبلورت لديه ذات أثر كبير على النقاد العرب."[98]

المحاضرة الثامنة: المنهج النفسي

[98] نفسه، ص 32/31

دائما ما تبحث المناهج السياقية على العوامل الخارجية التي أنتجت أو ساهمت في عملية إنتاج النصوص الأدبية، فالمبدع الأدبي من المنظور السياقي لا بد له من ظروف مر بها أو أثرت عليه لإنتاج هذا الأدب، أما من المنظور النفسي بخاصة فيرى أن الأديب:" لم يستطع أن يتلاءم مع الواقع فكبت رغباته وسعى إلى إشباعها عن طريق الخيال، ثم عادت إلى الواقع في شكل أدبي."[99]

ومن ثمة فالعمل الأدبي ثمرة صاحبه الذي أنتجه ومن:" الصعوبة أن يتشكل أدبي دون أن يكون هذا الأدب جزءا أو بعضا من نفس صاحبه أو من إحساسه بما حوله على أقل تقدير، وهذا يعني ببساطة أن الإنتاج الأدبي هو أولا وقبل كل شيء إنتاج نفس بشرية لها نوازعها ورغباتها ووعيها ولاوعيها وطرائقها في التفكير والمعالجة."[100] هذه النفس البشرية تمر عبر مراحل تطور حياتها بظروف نفسية تتشكل في أعماقها وكامنة فيها، تجعل العمل الأدبي ما هو إلا انعكاس لمحطات نفسة عاشها أو تأثر بها الأديب.

والدارس للنقد الأدبي يلحظ أن بوادر اهتمام النقاد بالظروف النفسية للكاتب قديمة قدم الإبداع الأدبي، ومن الذين اهتموا بالسيرة الشخصية والعوامل النفسية للأديب نجد سانت بيف الذي درس الكاتب بجميع تفاصيله، ففي نظره أننا:" إذا استطعنا أن نحصل على أكير قدر ممكن من المعرفة بحياة الفنان، والعوامل التي شكّلت فكره ونظرته إلى الحياة، فإن في إمكاننا أن نصل إلى فهم صحيح لعمله، وأن نتجنّب بالتالي الاهتمام بالعوامل التي لا تدخل في صميمه، ونتحاشى أيضا ضياع معناه الحقيقي."[101]

هذا الاهتمام بشخصية الأديب عند سانت بيف اختلفت عن الدراسات النفسية الذي يمثلها فرويد، فالدراسة عند:" سانت بيف- على الرغم من أنها تهتم بالأديب ذاته- فإنها تحاول أن تصل من دراسة حياة الأديب إلى خلق عمل أدبي ثان، يسمى السيرة الأدبية حيث تكون حياة الأديب العمود الفقري الذي تنسج عليه أحداث العمل الجديد. والمعروف أن السيرة الأدبية، أو كما يسميها سانت بيف التاريخ العلمي، لا يصدر أحكاما على القيم الفنية، وإنما يسجل أو يصف وقائع وكائنات ثم يصنفها، أما إذا حاول هذا التوع من الدراسات إصدار بعض الأحكام فإن أحكامه لا تجد لها أي أساس ترتكز عليه لأنها قامت

---

[99] عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 34
[100] بسام قطّوس، دليل النظريات النقدية المعاصرة، ص40
[101] نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، ص 335

على حياة الأديب لا على عمله الأدبي." [102]هذه الدراسات تبحث عن ماهية كاتب الإبداع الأدبي، ولا يمكن لها إصدار أحكام نقدية تتعلق بالنص الأدبي، ذلك ان شغلها الشاغل الكاتب وليس ماهية الأدب.

لقد تأثرت الدراسات الأدبية والنقدية في البيئة الغربية في عصر النهضة والتنوير– العصر الحديث- بالتجارب العلمية والتفسيرات القائمة على الملاحظة والتحليل العلمي للظواهر، فاستمدت هذه الأخيرة – الدراسات النقدية- آلياتها من العلوم الإنسانية كعلم التاريخ والاجتماع، وعلم النفس، فظهرت منهاج نقدية تهتم بالمؤلف والتي من بينها المنهج النفسي الذي:" استمد آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي ، والتي أسسها سيغموند فرويد Sigmund Freud [1856-1939] في مطلع القرن العشرين، فسر على ضوئها السلوك الإنساني برده إلى منطقة اللاوعي اللاشعور."[103]

ترى النظرية النفسية أن في أعماق كل:" كائن بشري رغبات مكبوتة، تبحث دوما عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك، ولما كان صعبا إخماد هذه الحرائق المشتعلة في لاشعوره، فإنه مضطر إلى تصعيدها؛ أي إشباعها بكيفيات مختلفة [أحلام اليقظة، أحلام النوم، هذيان العصابين، الأعمال الفنية]، كأن الفن –إذن- تصعيد وتعويض لما لم يستطع الفنان تحقيقه في واقعه الاجتماعي، واستجابة تلقائية لتلك المثيرات النائمة في الأعماق النفسية السحيقة، والتي قد تكون رغبات جنسية بحسب فرويد، أو شعورا بالنقص يقتضي التعويض بحسب آدلر، أو مجموعة من التجارب والأفكار الموروثة المخزنة في الاشعور الجمعي بحسب يونغ."[104]

الآثار النفسية من منظور النظرية النفسية التي يعيشها الإنسان وتكون مخزنة في اللاشعور هي السبب الرئيس في عملية إنتاج النص الأدبي، فمثلا الكاتب في البيئة الإسلامية قد لا يستطيع الحديث عن المواضيع التي تصطدم والتفكير الإسلامي، فيلجأ إلى الكتابة للتعبير عن آرائه وأفكاره المختزنة في نفسيته، ومن الأمثلة الراسخة للآثار النفسية في إيقاظ عبقرية الإبداع حين يشعر المرء بعقدة النقص ويهرع لتعويضها عن طريق الفن نذكر مثلا ما يصطلح عليه بأدب العميان الذي لقى اهتماما بالغا عند النقاد وهذا ما نجده

---

[102] عكاشة شايف، اتجاهات النقد المعاصر في مصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 116/115
[103] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 22
[104] نفسه، ص 22

معجزة الإنسانية (هلين كلير) والأدب العربي الحديث شهد عبقرية منفردة المتمثلة في طه حسين.

ومرد الإبداع الفني والأدبي من المنظور النفسي أنه:" إنتاج غير واع، وبعبارة أخرى فإن قلم الكاتب تسيره قوى داخلية وكثيرا ما عبر الكتاب الكبار عن هذه الحقيقة، ووصفوا الإبداع الفني بأنه يتم على مرحلتين: أولهما وجود باعث ما في داخل الفنان يثير الأفكار، وثانيهما التعبير عن هذه الأفكار."[105] هذه القوى الداخلية هي مجموع الأسباب التي نشأ ونتج عنها النص الأدبي، والقوى الداخلية هنا تمثل فكرة اللاوعي الذي تحدث عنها فرويد ورأى أن ما يفعله:" الكاتب يشبه ما يفعله الطفل أثناء اللعب فهو يخلق عالما خياليا لا وجود له في الواقع ثم يؤمن به."[106]

ويجتمع الباحثون والدارسون في الحقول الأدبية والنقدية أن:" الناقد الفرنسي شارل مورون Charles Mauron [1899-1966]، مبدع مصطلح النقد النفساني[-psycho critique] قد حقق للنقد الأدبي انتصارا منهجيا، على قدر كبير من السعة والاستقلالية، في نطاق علم النفس، بجعل الأول أكبر من أن يكون مجرّد شرح أو توضيح للثاني مقترحا- لأجل ذلك- منهجا يستعين بالتحليل النفسي في دراسة النصوص، ولكنه لا يجعل منه غاية في ذاتها."[107]

وقد ميز شارل مورون بين عمل الناقد المطبق للمنهج النفسي وبين التحليل النفسي، فهو يرى:" المحلل النفسي خبير بالعلاج، ويهتم بالأمراض العصبية، وأما الناقد النفسي فليس خبيرا بالمداواة ولا يفكر في العلاج، ولا يعطي تشخيصا للمرض، وهو يعزل فقط داخل العمل الأدبي الأساليب المحتملة لسيرورات لاشعورية، ويدرس أشكاله وتطوره، ويحرص أن يلحقها بالنتائج التي توصل إليها، وهذا يستلزم أن تكون هناك معرفة بالسيرورات اللاشعورية عموما."[108]

يرى يوسف وغليسي في كتابه مناهج النقد الأدبي أن الدراسات الأدبية استثمرت واستفادت من الحقائق العلمية التي توصل إليها علماء النفس ومن مفاهيمه في مجلات مختلفة نذكر منها:

---

[105] مصطفى السيوفى، النقد الأدبي الحديث، ص 140

[106] نفسه، ص 143

[107] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 81

[108] علب بوشنفة هلال، في الأسس النظرية لمنهج النقد النفسي- شارل مورون أنموذجا-، مجلة التواصل الأدبي، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، المجلد10، العدد1، 2020/12/16، ص 22

دراسة العملية الإبداعية في ذاتها {سيكولوجية الإبداع}؛ أي ماهيتها النفسية وعناصرها وطقوسها الخاصة، ويمثلها الدكتور مصطفى سويف وكتابه المعنون "الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة" وهو في الأصل رسالة ماجستير نوقشت سنة 1948، ونشرت سنة1951. ثم صار على نهجه بعض طلبته كالدكتور شاكر عبد الحميد في كتابه "الأسس النفسية للإبداع الفني في القصة القصيرة"، والدكتورة سامية الملة" الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرح" وتشكل هذه الجهود في الثقافة العربية نواة مدرسة لعلم نفس الإبداع.

دراسة شخصية المبدع { سيكولوجية البدع؛ بمعنى البحث والاهتمام في دلالة العمل الأدبي على نفسية صاحبه، ومن رواد هذا الاتجاه في الدراسات النقدية العربية: عباس محمود العقاد "1889-1964" وإبراهيم عبد القادر المازني " 1890-1949" ومحمد النويهي "1917-1980"

دراسة العلاقة النفسية بين العمل الأدبي والمتلقي {سيكولوجية المتلقي}

دراسة العمل الأدبي من زاوية سيكولوجية {التحليل النفسي للأدب} وهو يمثل المجال الحقيقي للممارسة النقدية النفسانية، ومن رواد هذا الاتجاه: أمين الخولي، محمد خلف الله أحمد وعزالدين إسماعيل وجورج طرابلسي.[109]

مبادئ وأسس النقد النفسي:

ربط النص بلاشعور صاحبه، وهذا لتأكيد النظرية المتمثلة في اللاشعور ودورها في عملية إنتاج النص الأدبي.

النظر إلى شخصيات النصوص على أنهم شخوص حقيقيون بدوافعهم ورغباتهم، حتى وإن كانت شخوص هذه النصوص متخيلة، ففي نظر النقد النفسي أنهم يشكلون مرآة عاكسة للمؤلف.

النظر إلى صاحب الإبداع والفنان عموما على أنه عصابي، أما النص فهو عرض عصابي، يعكس المكبوت الحقيقي في شكل بديل مجازي مقبول اجتماعيا.[110]

أما إذا ما حاولنا البحث عن تطبيقات المنهج النفسي في البيئة العربية فسنجد سنة:" 1938 تاريخا حاسما في علاقة النقد العربي بهذا المنهج؛ لأنها السنة التي أوكلت فيها كلية الآداب واللغات بجامعة القاهرة إلى كل من أحمد أمين ومحمد خلف الله أحمد تدريس مادة جديدة لطلبة الدراسات العليا تتناول {صلة علم النفس بالأدب، وفي السنة الموالية نشر

---

[109] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص24/23

[110] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 80

أمين الخولي {1896-1966} بحثا عنوانه {البلاغة وعلم النفس} كان محاولة لترسيخ دراسة خاصة بعلم النفس الأدبي."[111]

المواقف النقدية العربية من المنهج النفسي:

أثيرت مواقف عديدة ومعارك فكرية في البيئة العربية حول المنهج النفسي بين ناصر ومطبق لهذا المنهج النقدي، وبين رافض له، وهناك موقف ثالث يمثل أصحاب النظرة الوسطية التي رأت تطبيق هذا المنهج النقدي دون المبالغة فيه، أو تطبيقه بشروط، ويمكن أن نذكر على رأس **المناصرين**:" العقاد إذ لم يكتف بالممارسة النقدية النفسانية، بل راح يؤازر ذلك مؤازرة نظرية، أعرب عنها في مقاله {النقد السيكولوجي} الذي نشره عام 1961، منتهيا فيه إلى قوله: إذا لم يكن بد من تفضيل إحدى مدارس النقد على سائر مدارسه الامعة فمدرسة النقد السيكولوجي أو النفساني أحقها جميعا بالتفضيل، في رأيي وفي ذوقي معا، لأنها المدرسة التي نستغني بها عن غيرها ولا نفقد شيئا من جوهر الفن أو الفنان المنقود."[112]

ويكمن سبب تفضيله المنهج النفسي على بقية المناهج الأخرى أننا عن طريق نعرف:" كل ما نريد أن نعرفه وكل ما يهم ان يعرف متى عرفنا نفس الشاعر وعرفنا كيف يكون أثرها في كلامه، وكيف يكون أثر هذا الكلام في نفوس الناس... ولهذا نفضل المدرسة النفسية لأنها تحيط بالمدارس كلها في جميع مزاياها."[113]

ومن الذين تبنوا المنهج النفسي في دراساتهم الإبداعية في البيئة العربية نجد جورج طرابيشي، حيث يعد:" من أكثر المتحمسين لتطبيق هذا المنهج فهو يبدو له أقرب المناهج لاستكناه النصوص الأدبية. فألف عقدة أوديب في الرواية العربية وأنثى ضد الأنوثة."[114]

أما من الذين **عارضوا** تطبيق المنهج النفسي في البيئة العربية يأتي في طليعتهم محمد مندور، الذي يعتبر في:" طليعة النقاد الداعين إلى فصل الأدب ودراسته عن العلوم المختلفة ومنها علم النفس، وتنحية العلم عن الأدب ونقده، ومحاربة تطبيق القوانين الاي

---

[111] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 24
[112] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 25
[113] نفسه، ص 25
[114] عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 36

اهتدت إليها العلوم الأخرى على الأدب ونقد الأدب، لأن الأدب لا يمكن أن نجدده ونوجهه ونحييه إلا بعناصره الداخلية، عناصره الأدبية البحتة."[115]

كما نجد طه حسين يرفض تطبيق آليات المنهج النفسي على الأدباء القدماء أو الإبداع العربي القديم، وهذا ما يتمثل في رده على دراسة العقاد لشعر أبي نواس وإخضاع هذا الأخير للتحليل النفسي، فطه حسين يرى أن إخضاع القدماء لهذا التحليل ضربا من ضروب الظن ولا يرقى إلى العلم ولا ينتهي بأصحابه إلى اليقين.[116]

أما الناقد السيد قطب فيمثل موقف **الوسطيين** الذي أعرب بوضح:" أنه لجميل أن ننتفع بالدراسات النفسية، ولكن يجب أن تبقى للأدب صبغته الفنية، وأن نعرف حدود علم النفس في هذا المجال، والحدود التي نراها مأمونة هي أن يكون المنهج النفسي أوسع من علم النفس، وأن يظل هذا مساعدا للمنهج الفني والمنهج التاريخي، وأن يقف عند حدود الظن والترجيح، ويتجنب الجزم والحسم، وأن لا يقتصر عليه في فهم الشخصية الإنسانية."[117]

عيوب تطبيق المنهج النفسي في الدراسات الأدبية:

مما سبق يمكن إجمال عيوب المنهج النفسي في الدراسات الأدبية أنه:

منهج نقدي اهتم بصاحب النص على حساب النص ذاته، والأخير يمثل الموضوع الحقيق للدراسات النقدية.

الربط بين العمل الأدبي ونفسية مبدعه، مع الاهتمام الزائد والمبالغ فيه بالاوعي أو اللاشعور التي وصفها عبد القادر فيدوح بالعلبة السوداء، التي يجد فيها مطبق النقد النفسي تفسيرات حول أسرار العمل الإبداعي.

التسوية بين النصوص الجيدة والنصوص الرديئة وربما تفضيل الثاني على الأول إذا توفرت الشروط والفرضيات السيكولوجية.

---

[115] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 27
[116] ينظر، مخلوف عامر، مناهج نقدية، ص 35
[117] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 29

الإفراط في تفسير الأعمال الأدبية وإرجاعها إلى المكبوتات، خصوصا فيما تعلق بالتفسير الجنسي للرموز الفنية. فيحول الإنسان إلى حزمة من العقد تحركها الغرائز الحيوانية حين تحصر في المكبوتات الجنسية.

التعسف في فرض التأويلات النفسانية على النصوص وإن كانت غير موجودة فيها، بغية تأكيد فرضيات مسبقة ما. فهو يعمد إلى دراسة ظاهرة قابلة للتعميم.

الاهتمام بالمضمون النفسي أي الاهتمام بالسلوكيات والعقد واعتبار الشخصيات الورقية أنها شخصيات واقعية تعبر عما يجوب بخاطر المبدع، على حساب الشكل الفني، فالتحليل النفسي لا يعبر عن أدبية الأدب.[118]

المحاضرة التاسعة: النقد الاجتماعي:

يعد النقد الاجتماعي من المناهج النقدية السياقية التي اهتمت بدراسة العوامل والظروف الخارجية التي ساهمت في عملية إنتاج النص الأدبي، وجوانبه المحيطة بخارجه، وانبثق هذا المنهج –المنهج الاجتماعي- في:" حضن المنهج التاريخي، وتولد عنه، واستقى منطلقاته الأولى منه: خاصة عند هؤلاء المفكرين والنقاد الذين استوعبوا فكرة تاريخية الأدب وارتباطها بتطور المجتمعات المختلفة، وتحولاتها طبقا لاختلاف البيئات والظروف والعصور."[119]

فاختلاف العصر والبيئة يصاحبه تغيير في ذهنيات وتفكير المجتمع، الذي بدوره سينعكس على الإبداع الأدبي، وذلك ببحثه عن طرق جديدة وآليات مستحدثة تواكب روح العصر، ومن هنا يرى صلاح فضل في كتابه مناهج النقد المعاصر أنّ:" المنطلق التاريخي كان هو التأسيس الطبيعي للمنطلق الاجتماعي عبر محوري الزمان والمكان. إذ يشف المحور الزماني عن إمكانية أن يرتبط التغيير النوعي للأعمال الأدبية، بالتحولات التي تحدث في الحقب التاريخية المختلفة، وعبر اختلافات المكان –أيضا- إذ إن لكل مكان زمانه وتاريخه وظروفه الخاصة."[120] ولكل زمان ومكان إبداعه الأدبي الخاص به، وآلياته المستحدثة في دراسة الأدب وتمحيصه.

---

[118] ينظر ، نفسه، ص 33/23

[119] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 39

[120] نفسه، ص 39

ينطلق رواد المنهج الاجتماعي من النظرية التي ترى:" أن الأدب ظاهرة اجتماعية، وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه، وإنما ينتجه لمجتمعه، منذ تفكيره في الكتابة، وفي ممارسته لها، وعقب انتهائه منها، فالقارئ حاضر في ذهن الأديب، وهو وسيلته وغايته في آن معا."[121]

وفي نظرهم لا بد للأدب أن:" يكون معبرا عن الروح القومية، ومشكلات الجماهير...وفي أن الأدب الحق يجب أن يكون تعبيرا عن الأفكار السياسية والاقتصادية والايديولوجية التي يؤمنون بها، وأعاظم الكتاب عندهم هم أكثر تعمقا لمشكلات مجتمعهم، وتنبؤا بحاجاته وتعبيرا عن روحه، وحرصا على أن يكرسوا أدبهم لتحقيق هذه الغايات"[122] فالإبداع الأدبي هو انعكاس لما يعيشه المجتمع، هو تعبير عن أفكاره وغاياته.

يتفق معظم الدارسين أن الإرهاصات والبوادر الأولى للمنهج الاجتماعي في:" دراسة الأدب ونقده بدأت منهجيا منذ أن أصدرت { مدام دي ستايل} كتابها { الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية}عام 1800، فأدخلت على فرنسا بذلك مبدأ القائل بأن الأدب تعبير عن المجتمع."[123]

ومن هنا أصبحت الدراسات النقدية تربط بين الأدب والمجتمع، وأن المنهج الاجتماعي هو الذي:" انصبت فيه كل البحوث والدراسات التي كانت في البداية متصلة بفكرة الوعي التاريخي، إذ سرعان ما تحول هذا الوعي إلى وعي اجتماعي يرتبط بطبيعة المستويات المتعددة للمجتمع، وبفكرة الطبقات، وكذلك يرتبط بفكرة تمثيل الأدب للحياة على المستوى الجماعي، وليس على المستوى الفردي. بمعنى أنه كلما اعتبرنا الأعمال الأدبية تعبيرا عن الواقع الخارجي. كان ذلك مدخلا لربطها بتفاعلات المجتمع وأبنيته ونظمه وتحولاته. باعتبار هذا المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية والفنية."[124]

فالأدب والفن هو انعكاس لإيديولوجية المجتمعات ولظروفهم الاقتصادية والسياسية والثقافية، فالمبدع العظيم والشاعر الأعظم القومي من وجهة نظرهم هو:" الذي بوسعه أن يتحدث بلغة الإقطاعي والنبيل والفلاح، فإن كان العمل الفني الذي أخذ موضوعه من حياة

---

[121] صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 101
[122][122] مصطفى السيوفى، النقد الأدبي الحديث، ص 153
[123] صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 101/100
[124] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 40/39

الطبقات الراقية، لا يخدم القومي، فإن هذا يعني أن لا قيمة له فنيا لأنه لا يعكس بصدق روح الواقع."[125]

والأدب هو تعبير عن المجتمع وليس تعبير عن الفرد، ودور الأدب والفن من وجهة المنهج الاجتماعي:" ألا يظل نشاطهما محصورا في إطار القضايا الفردية والمعالجات الخاصة، وألا يعزل الأديب أو الفنان نفسه عن المجتمع في برج عاج، فللأدب والفن دور في رقي المجتمع، وإسهام في نهضته وتوعية أفراده وقيادتهم."[126]

ويستشف من هذا أن الأدب والفن لا ينشأ من فراغ، وأن المبدع ابن بيئته ومجتمعه يتأثر بأحوالهم وظروفهم، فهو:" ليس فردا معزولا أو قارة منفصلة. كما أن مضامين أدبه وتصوراته، وأنماط صوره ودلالات رموزه وأشكال تخيله، ليست سوى محصلة واقعية لما شهده في مجتمعه، وعرفه وأدركه وخبره وتربى عليه وألفه واكتسبه، وهو ما يعني أنه ليس ثمة ما يمكن أن ينشأ من فراغ."[127]

تأثر أعلام المنهج الاجتماعي بالأفكار الماركسية التي تفكر بصوت المجتمع وليس الفرد، فإذا كانت الفلسفة:" المثالية ترى في الأدب تعبيرا فرديا، فإن الفلسفة المادية الماركسية ترى في الأدب تعبيرا عن محصلة عوامل مختلفة يأتي في مقدمتها العامل المادّي الاقتصادي الذي يشكل رؤية الأديب وموقفه من الحياة والمجتمع. وإذا كان وعي الناس يحدد وجودهم في الفلسفة المثالية، فإن وجود الناس الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم، في الفلسفة الماركسية، ومن هنا وجدنا النقاد الاجتماعيين يؤكدون أن الوضع الطبقي للأديب يحتم عليه أن يحمل أفكار طبقته فيعبر عن همومها ومواقفها."[128]

وتعود أسباب ظهور هذا المنهج النقدي بصفة خاصة والمناهج النقدية الأخرى بصفة عامة، إلى أن:" الغالبية العظمى من المناهج الأدبية توالدت تباعا، إما كردود فعل بعضها على بعض، أو امتداد لها، والمتتبع للمنهج الاجتماعي يوقن تماما أن هذا المنهج جاء امتدادا للمنهج التاريخي، ورفضا لما فيه من جمود، ورفضا لكل أشكال الإقطاعية والبرجوازية والتحرر من تمجيد البطولات والاستماع لقصائد الأحلام والأوهام، فظهرت

---

[125] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002، ص 40

[126] صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 103

[127] صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 104

[128] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي، ص 37

دعوة الفن للمجتمع، وقد غذّى هذه الحركة طهور الشيوعية بعد الثورة الروسية التي قامت عام 1917، ومناداتها بأن الفرد في خدمة الجماعة."[129]

مبادئ المنهج الاجتماعي:

أورد عبد الله خضر حمد مبادئ وأسس المنهج الاجتماعي في الأدب في كتابه الموسوم مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، وتكمن ي نظره فيما يلي:[130]

ربط الأدب بالمجتمع والنظر إليه على أنه لسان المجتمع، فالأدب صورة العصر والمجتمع، والأعمال الأدبية وثائق تاريخية اجتماعية، فالأديب يؤثر في مجتمعه ويتأثر به ورؤيته تتبلور بتأثير المجتمع والمحيط والتربية، والأدب جزء من النظام الاجتماعي وهو كسائر الفنون ظاهرة اجتماعية ووظيفة اجتماعية.

الأدب ضرورة لا غنى عنها للمجتمع ولا يستطيع الإنسان أن يقدم حضارة دونه، والأساس الاقتصادي هو الذي يحدد طبيعة الإيديولوجيا، والأدب لا يصور حال المجتمع تصويرا فوتوغرافيا، بل ينقله من خلال فهم الأديب له، وقد ربط المنهج الاجتماعي الأدب بالجماهير فجعلها هدفا مباشرا لخطابه.

مآخذ المنهج الاجتماعي:

من بين عيوب وما يؤخذ على المنهج الاجتماعي أنه درس الأدب من الخارج، فاهتم بالمؤلف وأحوال مجتمعه وانعكاس أحوال هذا الأخير على الأدب، وأهمل الركيزة الأساسية وهي جمالية أو فنية هذا الأدب، وإصرار رواده على أن الأدب انعكاس للظروف الاجتماعية للأديب، فلا يمكن للشعر مثلا أن يحل محل النشاط الاجتماعي، فكذلك أن النشاط الاجتماعي لا يستطيع أن يحل محل الأدب والشعر.

التسليم بالمنابع والتأثيرات الاجتماعية للأدب، لا يعني المساواة بين الأدب ومنبعه، فقد يكون هذا المنبع حافزا للأديب ومبعثا على إنتاجه، من دون أن يعني هذا بالضرورة أن طبيعة هذا الإنتاج من جنس المنبع نفسه.[131]

---

[129] نفسه، ص 41
[130] نفسه، ص 40/39
[131] صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، 105

يرى مصطفى ناصف في كتابه الموسوم دراسة الأدب العربي أن الظروف الاجتماعية التي تحيط بالأديب تدعوه إلى التفكير حقا، ولكن طبيعة هذا التفكير ليست من صنع الظروف نفسها، عمل الفنان ليس محتوما بعلة خارجية، فقد يقف السياق الاجتماعي عند حدود التحفيز والتأثير، ويصعب الربط فيما بينه وبين العمل الأدبي في لحظة استوائه.[132]

رواد المنهج الاجتماعي في البيئة الغربية:

من منظري هذا المنهج في البيئة الغربية نجد:

جورج لوكاتش:

درس وتطرق وحلل العلاقة الكامنة التي تجمع بين الأدب والمجتمع، حيث رأى أن الأول انعكاس للثاني، باعتبار الإبداع الأدبي:" انعكاسا وتمثيلا للحياة، وقدم بعض الدراسات الأخرى التي تعد إسهاما مبكرا في نوع آخر من الدراسات السوسيولوجية للآداب. وهو الذي يسمى سوسيولوجيا الأجناس الأدبية."[133] هذه النظرية التي قدمها جورج لوكاتش ترى أن هناك علاقة تربط بين نشأة:" الجنس الأدبي وازدهاره وبين طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية لمجتمع من المجتمعات، فكانت كتاباته عن طيعة ونشأة الرواية المقترنة بنشأة حركة الرأسمالية العالمية، وصعود البرجوازية الغربية."[134]

لوسيان غولدمان

انطلق جولدمان في دراساته الاجتماعية للأدب من أفكار لوكاتش واصطنع جملة من المصطلحات الآليات الجديدة في التحليل، فأطلق على المنهج الذي تبناه علم اجتماع الإبداع الأدبي، ومن بين أهم أفكاره أن الأدب يعبر عن الوعي الطبقي للفئات والمجتمعات المختلفة، والأعمال الأدبية في نظره لا تعبر عن الأفراد، فالأديب وإن كان فردا إلا أنه يختزل ضمير الجماعة ورؤية المجتمع الذي ينتمي إليه، فالإبداع الأدبي ليس إنتاجا فرديا ولا يعامل باعتباره تعبيرا عن وجهة نظر شخصية، لأن وجهة النظر تعبر وتجسد عميات الوعي والضمير الجماعي فيها.[135]

---

[132] مصطفى ناصف، دراسة الأدب العربي، الدار القومية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص 96
[133] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص47
[134] نفسه، ص 48
[135] نفسه، ص 48

ومن رواد وأعلام المنهج التاريخي في البيئة الغربية: كارل ماركس، ريموند وليامز، مدام دي ستايل،.

أعلام المنهج الاجتماعي في البيئة العربية:

لقد تأثر الأدب العربي الحديث بالآداب الغربية في العصر الحديث، وهذا عن طريقة جملة من العوامل سواء عن طريق الحملات التبشيرية أو الاحتلال أو عن طريق رجال المال والتجارة الذين وفدوا إلى البيئة العربية، ومن بين المناهج الأدبية والنقدية التي تأثر بها العرب المنهج الاجتماعي الذي يعكس الدور البارز الذي يلعبه المبدع والأدب في إيصال صوت الجماعة ووعي الجماعة، ومن بين النقاد العرب الذين تأثروا بالمنهج الاجتماعي نجد:

محمد مندور:

يرى محمد مندور بأن التجارب الاجتماعية هي التي:" يستقيها الأديب أو الشاعر من محيطه الاجتماعي أو الإنساني المعاصر، وهو في تصويره لهذه التجارب يعتمد على الملاحظة والخيال، كما يعتمد على ما صوره الأدباء الآخرون، من تلك التجارب."[136] لقد أضاف محمد مندور عنصري الخيال والملاحظة في تصوير المجتمع وانعكاسه في الأدب، ففي نظره أن الأديب يستطيع:" بخياله أن يتصور الواقع وأن يجسده على نحو يبرز الحقيقة في قوتها، فالأديب الحق يستطيع أن يتحدث عن آلام الحرمان ومشقات البؤس... وليس من شك في أن ثقافة الأديب أو الشاعر العامة تسعفه أيما إسعاف في صياغة التجارب الاجتماعية التي تحيط به"[137] فكم من مبدع أو أديب يحس بالآلام والحرمان ولكنه لا يستطيع التعبير عنها أو لا يستطيع أن يصوغ تجربته أدبا لأنه لا يملك القدرة الأدبية لصياغتها، ففي نظره:" انقضى الزمن الذي كان ينظر فيه إلى الأدباء والفنانين على أنهم أو المجترون لأحلامهم وآمالهم الخاصة، أو الباكون لضياعهم وخيبة آمالهم في الحياة. وحان لكي يلتزم الأدباء والفنانون بمعارك شعوبهم وقضايا عصرهم ومصير الإنسانية كلها."[138]

---

[136] محمد مندور، الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ص 15

[137] نفسه، ص 16/15

[138] مصطفى السيوفي، النقد الأدبي الحديث، ص 181

طه حسين:

تأثر طه حسين وتبنى في دراساته النقدية:" المنهج التاريخي- الاجتماعي في النقد، فقد تأثر طه حسين بالناقد والمؤرخ والفيلسوف الفرنسي هيبوليت تين... ولم يقتصر تأثر طه حسين على تين فقط، بل تعداه إلى نقاد فرنسي آخر هو سانت بيف."[139] هذا التأثر بالطبع راجع إلى دراسة طه حسين الدكتوراه بالسوربون وبحكم الاتصال المباشر مع النقاد في البيئة الغربية.

يقول طه حسين في كتابه "تجديد ذكرى أبي العلاء" وهو من أوائل البحوث التي قدمها إلى الحياة الأدبية:" إذا صح هذا كله فأبو العلاء ثمرة من ثمرات عصره، قد عجّل في إنضاجها: الزمان والمكان، والحال السياسية، والاجتماعية، والحال الاقتصادية... ويقول: إنما الحادثة التاريخية والقصيدة الشعرية، والخطبة يجيدها الخطيب، والرسالة ينمقها الكاتب، كل أولئك نسيج من العلل الاجتماعية والكونية"[140] عبر عن منهجه المعتمد في دراسة إبداع أبي علاء المعري الذي يرى بأن الظروف الاجتماعية انعكست على إبداعه الأدبي، وأن الأدب من هو إلا تفاعل بين العلل والظروف الاجتماعية والتاريخية التي يمر بها الكتاب.

المحاضرة العاشرة: النقد التأثري أو الانطباعي

يعد فن التأثير في الآخر –ونقصد بالآخر المتلقي- من المزايا التي يبحث عنها الأدباء في أعمالهم الإبداعية بغية في استقطاب المتلقين نحو نصوصهم الأدبية، فعندما:" يقدم المرء على قراءة عمل أدبي ما، ويتأثر به، فلا شك أن يكون هناك حافز خارجي قبل تأثير العمل نفسه. قد يختار العمل بتوجيه من أستاذ أو صديق أو يكون قد قرأ عنه تعليقا ما في صحيفة أو أنّ شهرة الأديب هي التي تدفعه إلى البحث عن عمله"[141]أو مجموعة من النقاشات التي دارت حول هذا العمل الأدبي بين أوساط المجتمع الواحد تكون دافعا لقراءة هذا النص الإبداعي.

---

[139] نفسه، ص 167
[140] نفسه، ص 167 /168
[141] عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 21

فالعملية التأثرية صاحبت ظهور النصوص الأدبية منذ القدم ولا زالت قائمة إلى الآن وسيظل:" قائما ما دامت مهمة الأدب والفن الدائمة النابعة من طبيعتها الذاتية هي التأثير في الناس عن طريق ما تحمله إليهم من قيم موضوعية وقيم جمالية، وباستطاعتنا أن نلمس هذه الحقيقة في تاريخ الشعوب التي وصل إلينا تراقهم القديم مثل اليونان والعرب، حيث نلاحظ النقد التأثري عندهما مصاحبا لظهور فنون الأدب الأخرى التي كانت عندئذ فنونا شعرية."[142]

ويعتمد النقد التأثري في تطرقه للأعمال الإبداعية الأدبية على:" الذوق الخاص القائم على التجربة الشخصية فيبتعد عن المنهج الموضوعي العلمي فهو نقد ذو طابع غير مقنع لأنه لا يهتم بالنصوص بل كل اهتمامه بأثرها على نفسه فمقياساها الشعور والذوق."[143]

فهو نقد يرتكز على ذوق ذات المتلقي لهذه النصوص الأدبية وبذلك يعد النقد التأثري كل:" نقد أخرجه صاحبه تحت تأثير الانطباعات الأولية السريعة، أو الأهواء الشخصية المتحيزة، أو المزاج الفردي الخاص، لم يخرجه نتيجة تأمل ودراسة مدققة تعتمد على معايير وضوابط متفق عليها."[144]

يعتبر النقد التأثري من وجهة محمد مندور من أقدم المناهج النقدية في التاريخ القديم الذي صاحب:" ظهور فنون الأدب المختلفة، وبخاصة فن الشعر. ولكن هذا المنهج كما قلنا لم يختف قط، بل ظل قائما وضروريا حتى اليوم، وكل ما طرأ عليه هو أنه قد أصبح يعتبر مرحلة ضرورية وأساسية وأولية في النقد، ولكن ليس النقد كله ولا يمكن الاكتفاء به والوقوف عنده."[145]

أما في العصر الحديث فيمكن اعتبار أن النقد التأثري الأدبي تأثر بالفن التشكيلي الذي ظهر في أوروبا، حيث تنسب:" الانطباعية إلى لوحة فنية تشكيلية مغضوب عليها، عنوانها {انطباع: Impression}، نسجتها ريشة الرسام الفرنسي كلود موني { .C Monel} سنة 1872، ولم تعرض إلا سنة 1874؛ وفي قاعة "النتاج المرفوض"

---

[142] محمد مندور، الأدب وفنونه، ص 127
[143] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي، ص 66
[144] نفسه، ص 67
[145] محمد مندور، الأدب وفنونه، ص 128

{Salon des refusés}، مع لوحات أخرى ل20فنانا، رفضت جماعة الحكام عرضها في البدء على أساس عدم أحقيتها لذلك... ومن أقطاب هذه المدرسة الفنية التشكيلية: بيرث موريسو، وإدوارد دوغاس، وألفريد سيسلي، وأوغست رونوار، وكاميل بيسارو."[146]

هذا الانتقال – النقد التأثري- من الفنون التشكيلية إلى النقد الأدبي على أنه منهج:" ذاتي حر، يسعى الناقد خلاله إلى أن ينقل للقارئ ما يشعر به تجاه النص الأدبي، تبعا لتأثره الآني والمباشر بذلك النص، دون تدخل عقلي أو تفكير منطقي صارم، وسيلته الأساسية في هذا المسعى هي الذوق الفردي الذي يعكس تأثر الذات الناقدة بالموضوع الإبداعي. إذ يتخذ الناقد من النص الأدبي مناسبة للحديث عن ذاته وأفكاره الخاصة وما يتداعى في ذهنه من مشاعر وذكريات، محتكما في نقل انطباعاته حول النص على الذوق أساسا."[147]

ومن رواد النقد التأثري في البيئة الغربية:" سانت بيف الذي كان يكتب النقد بلغة الشعر!، وأناطول فرانس الذي اتخذ من النقد وسيلة لسرد مغامراته، وجول لوماتر الذي كان يصدر في نقده عن إيمانه بأننا: لا نحب المؤلفات الأدبية لأنها جيدة، بل تبدو جيدة لأننا نحبها، والناقد الحقيقي –في نظره- هو من يستميل قارئه ويستهويه ويجذبه إليه حتى ينسيه نفسه وكل ما حوله، وينقله إلى عالم خاص."[148]

كما نجد كذلك:" أندري جيد A. Gide الذي جعل من العملية النقدية اعترافات ذاتية، وتعبيرا عن الأفكار الخاصة؛ يتخذ من النصوص المدروسة داعيا لذلك، وغوستاف لانسون الذي ظل- مع انتمائه التاريخي الواضح- مؤمنا بأن لانطباعية هي المنهج الوحيد الذي يمكننا من الإحساس بقوة المؤلفات وجمالها شريطة استخدامها بحذر شديد."[149]

ومن خطوات النقد التأثري في استنطاق النصوص الأدبية تتلخص أبرزها في النقاط التالية: قراءة النصوص الأدبية بشكل متأن ودقيق، وذلك ما يجعل الناقد يتمكن من تسجيل الانطباعات الفردية التي تفاعل معها وتأثر بمواطن الجمال والإبداع في النص،

---

[146] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي،
[147] نفسه، ص 9
[148] عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 23/22
[149] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص9

فيصل إلى تفسير هذه الانطباعات وشرحها بحجج موضوعية تستند إلى أصول ومبادئ العمل الإبداعي الأدبي وفنونه.[150]

مميزات النقد التأثري:

لقد أورد عامر مخلوف في كتابه مناهج نقدية محاضرات ميسرة أبرز الخصائص التي امتاز بها النقد التأثري والتي تتلخص فيما يلي:

يستبعد القواعد العقلانية الصارمة ليطلق العنان للذوق الذاتي الحر.
يجعل من النص الأدبي جسرا للعبور إلى أحاسيس الناقد ومشاعره الخاصة.
يبحث عن الصور الأدبية والتعابير الإنشائية فيقد نصّا موازيا للنص موضوع النقد.
يميل إلى الأحكام الذاتية العامة فلا يولي أهمية للتعليل.
الإفراط في استحسان النصوص أو استهجانها على السواء أي ما يسميه جابر عصفور بثنائية الحب والكراهية التي يتوسّل بها الناقد الانطباعي جاعلا من حالاته المزاجية معيارا متقلبا.[151]
محاربة القواعد العلمية والمعايير النقدية الأكاديمية، والانتصار للذوق الذاتي الذي يشكل مركز الدائرة النقدية الانطباعية.
الذوبان في النصوص المعجب بها والتماهي في أصحابها.
الإسراف في استعمال اللغة الإنشائية الشاعرية التي يطغى عليه ضمير المفرد المتكلم "أنا"، وصيغة أفعال التفضيل وسائر الأساليب الانفعالية.[152]

النقد التأثري في البيئة العربية:

لقد تعددت مصلحات النقد التأثري في البيئة العربية حيث انتقلت بتسميات مختلفة، فمنهم من اعتمد على مصطلح المنهج التأثري ومنهم من اصطلح الانطباعي أو ذاتي وانفعالي أو ذوقي، وهذا راجع إلى تمسك كل نقاد بالمصطلح الذي يراه مناسبا.[153]

---

[150] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي، ص 68
[151] عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 31
[152] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص14
[153] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي، ص 75

رواد النقد التأثري في البيئة العربية:

تجمع الدراسات النقدية العربية على أن طه حسين يعد زعيم النقد التأثري في البيئة العربية على رغم تزامن ذلك بتطبيقاته للمنهج التاريخي، فقد ادرك طه حسين ان طبيعة النص الأدبي ليست في يد المؤرخ وأن الحضور الذاتي التأثري ضرورة يقتضيها النقص الذي يواجه الناقد أو المؤرخ.[154]

كما قد آمن تلميذ طه حسين محمد مندور بأن النقد الأدبي ليس علما وأنه يعتمد على الذوق في دراسة النصوص الأدبية، وهذا راجع لاعتقاده أن النقد:" التأثري الذي يسخر منه اليوم بعض الجهلاء ويظنونه بدائيا عتيقا باليا- لا يزال قائما وضروريا وبديهيا في كل نقد أدبي سليم- مادام الأدب كله لا يمكن أن يتحول إلى معادلات رياضية أو إلى أحجام تقاس بالمتر والسنتي أو توزن بالجرام والدرهم."[155]

ويرى محمد مندور أن لا بد أن يتبع النقد التأثيري التعليل، فهو يؤكد على أن النقد التأثري يعد المحطة الأولى ومرحلة أولى و:" ضرورية في عملية النقد على أن تتبعها بعد ذلك مرحلة أخرى موضوعية يفسر ويبرر فيها الناقد انطباعاته بحجج موضوعية يستطيع الغير مناقشتها."[156]

ومن بين النقاد الذين تبنوا النقد التأثري في البيئة العربية إيليا الحاوي الذي يتميز:" بكثرة مؤلفاته النقدية التي تحتفي بالانطباع الذاتي واللغة الإنشائية، وتدير ظهرها للمرجعية العلمية والتوثيق الأكاديمي"[157]

يستنتج من هذا أن النقد التأثري يمثل المحطة الأولى في قراءة النصوص الإبداعية الأدبية، فالناقد الأدبي يتأثر بهذا النص الذي يدفعه للكتابة عنه والبحث عن الجماليات التي يحملها في طياته، كما يجب على الناقد أن يتبع قراءاته الذاتية لهذه النصوص بالحجج والبراهين التي تدعم آراؤه النقدية.

---

[154] ينظر، يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 10
[155] محمد مندور، الأدب وفنونه، ص 129
[156] نفسه، ص 129
[157] عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي، ص 75

المحاضرة إحدى عشر: النقد التكاملي

يعد النقد التكاملي من المناهج النقدية التي اهتمت بدراسة النصوص الأدبية من الخارج، أي الاهتمام بالظروف والعوامل المحيطة خارج النص والتي أثرت في عملية إنتاجه، فهو منهج نقدي و:" ضرب مختلف من ضروب النقد، لا يتقيد بمنهج واحد خلال العملية النقدية، بل يستعين بجملة من المناهج التي يقتضيها الطابع التركيبي المعقد للنص الأدبي"[158]

وقد شبه يوسف وغليسي في كتابه مناهج النقد الأدبي النقد التكاملي والفرق الحاصل بينه وبين المناهج النقدية السياقية في النقد الأدبي كالفرق الموجود في:" عالم السياسة بين حكومة الحزب الواحد وحكومة ائتلافية تجمع بين وزراء من أحزاب مختلفة."[159]

وقد كانت هناك دعوات عالمية إلى توظيف النقد التكاملي في دراسة النصوص الإبداعية فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الناقد **ستانلي هايمن** في كتابه المترجم إلى العربية بعنوان النقد الأدبي ومدارسه الحديثة أطلق عليه اسم المنهج التكاملي.[160]

وهو في نظره منهج:" نقدي مرن، لا يقتصر فيه صاحبه على منهج بعينه، بل يسعى إلى دراسة الآثار الأدبية من خلال عدد من المناهج النقدية التي يحتكم إليها في الفهم والحكم والتقييم، ليتحول عقله إلى مرآة تعكس أضواء مجموع تلك المناهج، دونما انحياز إلى منهج محدد، محققا التكامل، من غير أن يكون ثمة طغيان لمنهج على آخر."[161]

فتوظيفات النقد التكاملي راجع إلى أن مكونات العملية الإبداعية لا تقتصر على جانب واحد فقط، فالنص الإبداعي:" ظاهرة متشعبة فيها ذات الكاتب والظروف المحيطة بإنتاجه فلا يستقيم الفهم إلا إذا أحاط الناقد بكافة جوانبه."[162]

---

[158] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص34
[159] نفسه، ص 34
[160] ينظر، صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 162
[161] نفسه، ص 162
[162] عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 56

وعليه لا يمكن تفسير الأدب من وجهة النقد التكاملي بالنظرة الأحادية والاكتفاء بتفسير الأدب إما من جوانبه التاريخية أو النفسية، فالعوامل المؤثرة في عملية الإنتاج تدفع إلى تداخل المناهج النقدية أثناء دراسة العملية الإبداعية، فمعتنق هذا المنهج النقدي يجب أن:" يكشف عن الأصالة الفردية للأديب وأن يرد عمله إلى جنسه الأدبي، بين أجناس الأدب المختلفة، وأن يدرس بيئته وظروف عصره ,اثر المتغيرات التاريخية والحاجات الاقتصادية فيه، فضلا عن الكشف عن تجليات اللاشعور الفردي والجمعي في أدب الكاتب."[163]

يسعى مطبقو النقد التكاملي إلى أن يكون موضوعيا بعيدا عن الذاتية، وتكون التفسيرات تفسيرات علمية لذلك وضعوا شروطا لا بدا من استفائها وهي:[164]

1-**الموسوعية**: فيجب على الناقد أن يتمتع ويمتلك معارف مختلفة وكافية، لأن النص الأدبي يتداخل ويوجد فيه التاريخي والاجتماعي والنفسي والأدبي وللإحاطة بهذه الجوانب كلها لا بد للناقد الأدبي أن يتوفر على ثقافة ومعارف واسعة.

2-الانفتاح: مادام الناقد يسعى إلى أن يكون موضوعيا وعلميا فلا ينبغي له أن يكتفي بمنهج نقدي واحد، بل وجب عليه أن ينفتح على بقية المناهج النقدية ولا يبقى محصورا في إحداها، وإلا بطبيعة الحال سيهدم فكرة التكامل والموضوعية من أساسها.

3-الانتقائية: حتى وإن افترضنا أن الناقد يمتلك معارف ومكتسبات موسوعية شاملة، فأنه من الصعب أن يطبقها جميعا حين يتناول نصا أدبيا ما، لذلك سيجد أنه مضطر للقيام بعملية فرز ينتقي فيها ما يبدو له مناسبا، أي أن مضطر لتغليب جانب معين على غيره.

4- التركيب: بعد عملية معالجة النص الأدبي وانتقاء ما يراه ضروريا ومفيدا يقف على جملة من العناصر يخلص في الأخير إلى القيام بعملية تركيبية.

---

[163] صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 162
[164] عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 57

5- النصية: بما أن الناقد أمام نص أدبي له مميزاته وخصوصيته، فأن طبيعته الفنية تختلف عن سائر النصوص تدفعه إلى أن يراعي هذه الخصوصية، إذ لا يمكن النظر إلى نص في التاريخ أو الاجتماع بالنظرة نفسه التي يرى بها النص الأدبي، فمن خصائصه التلميح بدل التصريح ويوظف اللغة بشكل تظهر فيه غير مألوفة.

بالرغم من هذه الشروط التي وضعت لتطبيق النقد التكاملي في دراسة النصوص الأدبية، إلا أنه لا يخلو هذا المنهج من:" عوائق وصعوبات تجعل منه طموحا أكثر منه منهجا علميا، ودعوة مثالية أكثر منها برنامجا واقعيا. وهو ما أحسن به ستانلي هايمن نفسه واعترف بالصعوبات التي تحيق بتطبيقه وتحول دون تنفيذه، وذلك حين ذهب إلى القول بأن على الناقد المثالي الجديد أن يؤدي أكثر مما يؤديه الناقد العملي، بأن يعرف أكثر منه وأن يتجاوزه مدى وبعدا وكيانا، بأن يستغل الطرق المثمرة جميعها في النقد، ليقيمها على أساس منظم، محتقبا كل المقدرة، وكل ضروب الكفاءة الذاتية والعلم الواسع، ثم ملاءمة ذلك كله مع متغيرات الموقف."[165] وهو من الصعوبة أن يلم الناقد بجميع فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية وهذا لتعددها أولا وثانيا لكثرة التأليف فيها، فلا يمكن للناقد المطبق للنقد التكاملي أن يقرأ كل مستجدات هذه العلوم.

مميزات وخصائص النقد التكاملي:

أورد عامر مخلوف في كتابه الموسوم ب مناهج نقدية الخصائص التي يتسم بها النقد التكاملي في الدراسات النقدية وهي:[166]

1 ظهر بصفته رد فعل على التوجه الأحادي في النقد الأدبي، سواء أكانت الأحادية تاريخية أم نفسية أم اجتماعية.

2 يسعى إلى أن يأخذ من كل المناهج كي يكون أكثر شمولية ووفاء لطبيعة النص الأدبي الذي هو ملتقى لمعارف شتى.

3 يدفع الناقد إلى أن يتزود بأوسع قدر ممكن من المعارف والثقافات.

---

[165] صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، ص 163

[166] عامر مخلوف، مناهج نقدية، ص 60

4 يقع في عملية انتقاء بحيث يأخذ من هنا وهناك لينتهي إلى جمع جملة من العناصر ليؤلف بينها على نحو توفيقي فيما يشبه عملية ترقيعية.

5 مهما حاول الناقد أن يكون موضوعيا صادقا في أن يضمن التوازن بين مختلف المناهج إلا أن طبيعة تكوينه ستجعله يغلب اختيارا ما عللا سائر التوجهات.

تطبيقات النقد التكاملي في البيئة العربية:

تعددت الرؤى واختلفت الآراء النقدية في البيئة العربية حول تطبيق النقد التكاملي في دراسة العمل الإبداعي الأدبي، بين من يرى إمكانية الاستفادة منه و يمكن دراسة النص الأدبي عن طريقه، وبين رافض له، ولكل منهما أسبابه وحججه الخاصة به، فمن أنصار هذا النقد والتي روجت له ودعت إليه شوقي ضيف الذي يرى أنه:" قد اتضحت لنا المناهج المختلفة في تفسير الشعر وتحليله وتقويمه، وما نشك أن من واجب الناقد الحديث أن يفيد من هذه الطرق جميعا في نقده."[167]

ففي هذه البداية ألمح شوقي ضيف إلى الاستفادة من النقد التكاملي في دراسة العمل الأدبي، قبل أن يصرح في كتابه:" البحث الأدبي الذي توقف خلاله عند محطات منهجية مختلفة تاريخية، اجتماعية، نفسية، جمالية، تأثرية، أو صلته إلى أن خير منهج ينبغي أن يتبع في دراسة الأدب هو المنهج التكاملي الذي يأخذ بحظ من كل هذه المناهج مفيدا منها جميعا."[168]

ومن النقاد العرب الذين ساروا على نهج شوقي ضيف ووظفوا النقد التكاملي في دراساتهم النقدية أحمد هيكل الذي أعلن عن منهجه قائلا:" منهجي في النقد أسميه، ويسميه كثيرون وأنا منهم، المنهج التكاملي، المنهج الذي أستفيد فيه من كل طرح من مذاهب نقدية، على أن أغلب وأنا أقوم بالعملية النقدية منهجا يتطلبه العمل الذي أنقده...لكني لا أحصر نفسي في منهج واحد وأرفض ما سواه، لأني أكون حينئذ كالقطار الذي يمشي على قضيب السكة الحديد إذا زل هنا أو هناك انكفأ وقتل الركاب."[169]

---

[167] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 36
[168] نفسه، ص 36
[169] نفسه، ص 37

ومن الذين رفضوا النقد التكاملي في البيئة العربية نجد جابر عصفور الذي رأى أن:" العملية النقدية التي تتصور النقد أخذا من كل منهج بطرف هي عملية تلفيقية تؤدي إلى الفوضى وتضارب المفاهيم، وأحيانا يكون وضع الناقد الذي يأخذ من كل شيء بطرف أشبه بوضع جهاز الراديو الخرب الذي يذيع عشر محطات إذاعية في نفس الوقت، ولن يكون هناك أي شيء سوى التشوش"[170] أي انه يصعب على الناقد أن يأخذ من جميع المناهج النقدية ويوظفها على عمل أدبي واحد، فيضيع عليه التركيز أولا وثانيا أي منهج نقدي سيغلب على الآخر ويساعد في فهم وقراءة هذا النص الأدبي.

أما شكري عزيز ماضي أعاب على أصحاب النقاد التكاملي مآخذ ورأى أن هناك ثلاثة عيوب على هذا النوع من النقد وهي:" أولا يتكون المنهج المتكامل من مجموعة المناهج الأخرى، فهو لا يشتق مفاهيمه الأدبية ومعاييره النقدية من الحركة الإبداعية الموضوع الأساسي للنقد بل من المزج بين المناهج النقدية الأخرى. ثانيا إذا كان المنهج تعبيرا عن رؤية متكاملة للأدب ودوره والنقد ووظيفته، فكيف يمكن التوفيق بين رؤية هذه المناهج المتباينة أصلا؟ ثالثا إن عملية الجمع أو المزج بين هذه المناهج مع المرونة النسبية في إيثار أحدها على الآخر في هذا الموضوع أو ذاك ستفرض- في التحليل الأخير- الانتقاء والاقتطاف، ولا شك أن الانتقاء والاقتطاف يعني تشتت المصادر وتعددها أي يعني فقدان المنهج."[171]

هذه عيوب تطبيقات النقد التكاملي في دراسة العمل الأدبي من منظور شكري عزيز ماضي، حيث رأى أنه من الصعوبة تطبيق هذا النوع من النقد في الدراسات النقدية.

---

[170] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 44

[171] نفسه، ص 44

الخاتمة

الفهرس

فهرس مادة: مناهج النقد السياقي 2
المقدمة 3
المحاضرة الأولى: تحديد المفاهيم والمصطلحات 4
أولا: مفهوم النقد..... 4
أ المفهوم اللغوي:..... 4
ب المفهوم الاصطلاحي: 5
ثانيا: مفهوم المنهج..... 6
أ لغة: 6
ب اصطلاحا:..... 6
مفهوم مناهج النقد السياقي:..... 6
المحاضرة الثانية: الأسس الفلسفية لظهور المناهج النقدية السياقية..... 8
أ النسق أو الخلفيات الفلسفية: 8
ب فلسفة العلوم التجريبية:..... 9
ج النسق أو الفلسفات النفسية والسسيولوجية "الاجتماعية":..... 10
المحاضرة الثالثة: المنهج التاريخي..... 11
أعلام المنهج التاريخي في البيئة الغربية:..... 13
1 هيبوليت تين [1828-1893] [Hippolite. Taine] 13
2 فرديناند برونتيار [1849-1906] [Ferdinand. Brunetiere] ... 13
3 سانت بيف [1804-1869] [Sainte. Beuve] 14
4 غوستاف لانسون [1857-1934] [Gustave lanson].....14
أعلام المنهج التاريخي في البيئة العربية:..... 14
1 أحمد ضيف[1880-1945] 14
2 طه حسين [1890-1965] 15
3 محمد مندور[1907-1965..... 15
مميزات المنهج التاريخي: 15
مآخذ المنهج التاريخي:..... 16

المحاضرة الرابعة: سانت بيف " Sainte- Beuve" 17
سانت بيف:..... 18
خصائص وميزات النقد التاريخي عند سانت بيف: 20
المحاضرة الخامسة: هيبوليت تين "Hippolyte Taine" 21
هيبوليت تين: Hippolyte Taine "1828-1893" 22
1 العرق: 24
2 البيئة..... 24
3 العصر: 25
المحاضرة السادسة: فرديناند برونتيار 25
فرديناند برونتيار..... 27
المحاضرة السابعة: غوستاف لانسون..... 28
المحاضرة الثامنة: المنهج النفسي 32
مبادئ وأسس النقد النفسي:..... 36
المواقف النقدية العربية من المنهج النفسي: 37
عيوب تطبيق المنهج النفسي في الدراسات الأدبية:..... 38
المحاضرة التاسعة: النقد الاجتماعي:..... 39
مبادئ المنهج الاجتماعي: 42
مآخذ المنهج الاجتماعي:..... 42
رواد المنهج الاجتماعي في البيئة الغربية: 43
جورج لوكاتش: 43
لوسيان غولدمان 43
أعلام المنهج الاجتماعي في البيئة العربية:..... 44
محمد مندور: 44
طه حسين:..... 45
المحاضرة العاشرة: النقد التأثري أو الانطباعي..... 45
مميزات النقد التأثري:..... 48
النقد التأثري في البيئة العربية: 48
رواد النقد التأثري في البيئة العربية: 49

المحاضرة إحدى عشر: النقد التكاملي..... 50
مميزات وخصائص النقد التكاملي: 52
تطبيقات النقد التكاملي في البيئة العربية: 53
الخاتمة 55
الفهرس 56
المصادر و المراجع 59

المصادر و المراجع